الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

فرع :دراسات لغوية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تعليمية اللغات

الموسومة بـ:

اللّغة وثلاثية الهوية والمثاقفة الكولونيالية

تحت إشراف

إعداد الطالبتين : – د .منقور صلاح الدين

-بخيرة إكرام

-أولاد علي إيمان

لجنة المناقشة

أ.د.عزوز ميلود	.....رئيساً
د. منقور صلاح الدين	.....مشرفا ومقرراً
د.بخولة كراش	..... عضوا مناقشاً

السنة الجامعية

2020/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته.

إن شرف الرسالة التي يحملها والغاية التي يسعى جاهدًا لتحقيقها، وليس هناك جهد يضاهي جهد العالم المتعلم لأنهما في ركب واحد ويكفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العالم والمتعلم شريكين في الأجر».

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بشكرنا الجزيل للأستاذةالفاضلة الدكتور "حاجي زوليخة" على موافقتها بأن تكون مشرفة لنا على إنجاز هذا البحث ولتقديمها النصائح القيمة ومساعدتها للقيام بهذا العمل، فجازاها الله عنا ألف خير.

كما نتقدم بالشكر للأسرة الجامعية لكلية الأدب بجامعة تيارت موظفين وأساتذة وعمال المكتبة .

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى أعز الناس إلي و أقربهم إلى قلبي والديّ

الكريمين اللذين وقفا إلى جانبي و تحملاني...

إلى جدي وجدتي

إلى كل عائلتي

إلى أساتذتي الكرام حبا و احتراما

إلى رفيقات دربي خلال مشواري الدراسي

إلى الذين أحببتهم و أحبوني

ناجم كلثوم ، بخيرة إكرام

وإلى إخوتي

إلى كل من حملتهم ذاكرتي و لم تحملهم ورقتي

إهداء

الحمد لله الذي وفقنا لهذا و لم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا.

أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أبي الغالية رحمه الله وجعل مثواه الجنة.

إلى أغلى شخص على قلبي أمي حفظها الله لي.

إلى سندي في الحياة إخوتي وكل أسرتي صغيرا وكبيرا.

توفيق ، نور الدين ، فيصل ، فايزة.

وإلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

إلى صديقاتي جميعا وبالأخص

أولاد علي إيمان ، عبدالجبار أسماء ، ناجم كلثوم

أهدي هذا العمل المتواضع راجيا من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح.

مقدمة

لقد ساهمت اللغة العربية منذ نزول القرآن بها على نحو خاص في هذه الأمة على تشكيل هويتها وعلى تفتحها على ثقافات العالم السابقة والمعاصرة ، وقد ظهر هذا في هذه المقوله " ليست العربية بأب لأحد منكم أو أمّ ، وإنّما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي " قال صاحب كنز العمال رواه بن العساكر عن أبي سلمى بن عبد الرحمان مرسلاً ، وبهذا فاللغة العربية مفتوحة أمام كل الأجناس والأعراق من خلال تعلمها ، فتسابق أبناء الحضارات ممن عاشوا في كنف الإمبراطورية الإسلامية إلى إجادة اللغة العربية والتسابق في الإبداع والتأليف عنها ، وبهذا عرفت أسماءها في بعض فروع المعرفة " سيبويه في النحو ، الجرجاني في البلاغة ، والبخاري في الحديث ، والزمخشري في التفسير " ، وبهذا إتّسع مفهوم العربية وثقافتها إلى الثقافة العلمية الإنسانية في الطب والجراحة والرياضيات ، والجبر والفلك ، والصيدلة كما رسّخ التاريخ أسماء أعلام مثل الزهرواي وبن الهيثم ، وبن النفيس وغيرهم في تمثيل كتب المعرفة العلمية في الجامعات الأوروبية .

تعتبر اللغة وسيلة أساسية في حياة الإنسان بحيث لا يمكنه الإستغناء عنها ، فهي وسيلة للتواصل الإنساني من خلال تبادل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة نسق من الرموز ، إذ لا يمكن فهم الوقائع دون لغة ، فإدراك الكون رهين بالمسميات والمعاني التي تحوزها حوله .

فاللغة مظهر ثقافي والصراع الفكري بين الثقافات يؤدي إلى صراع اللغات ، فالاستعمال اللغوي لدى الأفراد يعدّ مقياساً مهما لمعرفة منطق مجتمع ما ، واكتشاف فكري وتطوره لذلك تسعى الشعوب المستقلة إلى تحديد هويتها الثقافية ، فالتعدد الثقافي يقابله العدد اللغوي ، فحسب إدوارد بيرنت تايلور**uenett tylor1917 E dward** / **1832** الذي يحدد الثقافة بوصفها " مختلف المعارف والقدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواَ في المجتمع .

Samovar l.porter R & Mc Daniel .E.intercultural communication A.reader.wadsworth cengage learning Boston .USA.2009.P10

وهذا ما يجعل تعزيز الوعي اللغوي ضرورياً في المجتمع ، وإستعمال اللغة للتطوير وترقية الشعوب ، فهي أهم أدوات بناء الحضارة ، لأنّ النهوض باللغة هو النهوض بالمجتمع كله ، وتطورها من تطوره .

كما يؤؤثر الوعي بالهوية وانتماء الأفراد إلى الجماعة في سلوك الفرد والجماعة دوورها الحضاري والإنساني المتتميز [1]

فإذا أردنا الحديث عن اللغة نجد أنفسنا تطرقنا إلى ملمح الهويّة ، فاللغة هنا ليست مجرد كلام ملفوظ بقدر إحالتها للفكر كما أنّ الهويّة لم تعد تختصر على الإشكال الذي يقع فيه الإنسان وقع سؤاله عن الغايات القصوى للوجود ومسبباته بقدر إعتبارها دلالة للمعنى الذي يشكلّه الفرد أو يتشكّل عنده من خلال إضافات إجتماعية وتراكمات تاريخية إضافة إلى تحديّات إقتصادية ، وهذا ما يمكن إدراكه من خلال التأثر بظاهرة العولمة وما خلفته من صراع في القيّم والمرجعيات على الهويات والخصوصيات الثقافية .

وقد تيقن عدد من فلاسفة الغرب أنّ لغتنا العربية هي عنوان شخصيتنا وهويتها الإسلامية ، ورمز ثقافتنا ووعاء تاريخنا وعلومنا ، ودالة على الحضارة التي بلغتها أمتنا ، فهي أغنى لغات العالم ، وهي كما يقول الشيخ علي طنطاوي (ت 1999م) " معجزة الذهن البشري وأعجوبة التاريخ في العصور كلها ، وقد إستطاعت أن تتميّز به من العناية الربانيّة ، وأن تحافظ على خصائصها وميزاتها على الرغم من إمتداد عمرها والتغييرات الكثيرة التي طرأت على مجتمعاتها فلبّت حاجات الإنسان في مختلف مظاهر حياته من الواصل بين الأفراد إلى التعبير بالكلام الفني الرفيع الذي يبلغ المرتبة العليا في الجودة والبلاغة والإتقان .

[1] بسام بركة ، فايز الصباغ وآخرون ، اللغة والهوية في الوطن العربي ، إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح ، ص 315، 316.

فالإنسان اِستعمل اللغة للتعبير عن طرق حياته المعيشية فاللغة تعكس عن شخصية الإنسان وتعمل على إيصال العادات وتقاليد الشعوب من خلال الإحتكاك والتواصل بينهما ، وهذا ما يخلق تنوعاً ثقافيًا من خلال التأثر والتأثير والأخذ والعطاء فقد اِستعملت الشعوب التثاقف للتطوير والإثراء من خلال الحوار والتفاعل مع الآخرين فوعي الآخر شرط أساسي للوجود في العالم والوعي الذاتي شرط أساسي لإنتاج الهويّة ، وعليه لابدّ من تواصل منتج يستثمر صراعات معرفية ويجتاز عزلته ويشكل تفوقه بين المتفوقين بالإضافة إلى القدرة على النقد الذاتي .

فقد تمثلت المثاقفة في عدّة مجالات " الأفكار ، التصورات ، تبادل العلوم والمعارف ، مجال التواصل اللغوي ، والإبداع في الفنون ، المهارات ، الخبرات ، ومجال التقاليد والعادات والسلوكيات في حين أنّ الأبعاد التي تحكم المثاقفة أربعة وهي الوعي بالهويّة الثقافية الذاتية " والإطمئنان إليها ، والإعتراف بهوية الآخر المستقلة ، وهذا ما يخلق مواجهة بين الثقافات ويولد لنا جملة من التصورات والمعتقدات والرؤى في حوار مع تصورات ورؤى مغايرة دون المساس بالثقافات الأخرى والسماح للآنا بأن يحاور الآخر باستقلال كبير من منطلق الثقة بذاته دون تزوير ، ودون الوقوع في التبعية الثقافية وللمحافظة على هويته وأصوله دون التصبغ بثقافات الآخر والبعد عن هويته ومقوماته ، فقوة المجتمع بقوة فرده ، وقوة هويته وصداها يخلق علاقة ترابطية تكاملية ، فهي عبارة عن حلقات مترابطة ببعضها وإن غابت حلقة إختل التوازن وضعف البناء ، وهذا ما يجعلها نقطة اِستهداف من قبل الآخر لطمس ومحو هذه الهويّة محاولاً الإستيلاء على العقول لنشر ثقافته وتقوية هويته على الحساب الآخر ، وهذا ما يسمى بالاستعمار الفكري القومي في هذا الصدد نذكر الأدب الجزائري الذي كان نقطة إستهداف من طرف المستعمر الفرنسي الذي اِستعمر البلاد فقد كان للحوادث والجزائر التي تكبدها الشعب الجزائري إبّان الفترة الإستعمارية تأثيراً واضحاً على الساحة الأدبية الإبداعية لأنّه حرّك العقول الواعية لتخلق بطولات و مآثر الأمجاد من جهة ، ولتثبت الوقائع من جهة أخرى ، وهذا ما أدى إلى ظهور تيارين : أدب جزائري مكتوب باللغة " الأم " لغة الأنا العربي الجزائري .

وأدب جزائري مكتوب بلغة الآخر اللغة الفرنسية ، وهذا ما جعل قضية الهوية محط أنظار وإهتمام أدباء و نقاد ومتلقين ، فقد أصبح الأدب الجزائري المكتوب باللسان الغير العربي بنظرهم يحمل شبهات حول الهوية طارحاً السؤال التالي : هل يمكن أن يندرج الأدب الجزائري المكتوب بلغة الآخر ضمن أدب جزائري عربي خالصًا حاملاً الهوية ومعبراً عنها ، أو العكس ؟ .

وهل يمكن إعتبار اللغة أداة كافية لتحديد معالم الهوية في النص الأدبي ؟ ، ومن الدراسات السابقة التي أولت إهتمامًا بهذه الإشكالية نجد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية محمود قاسم ، وفرنكوفونية مشرقاً ومغرباً عبد الله الركيبي ، والرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية ، وثورة التحرير ، وصراع اللغة والهوية نوال بن صالح .....وغيرهم .

فموضوع الهوية في الفكر الجزائري الحديث يعدّ عنصراً أساسي يتطلب منا البحث فيه ، وفي هذا الصدد إختلفت الآراء حول ما يحمله هذا الأدب الجديد الغريب إضافة إلى إهتمامنا الخاص بقضية وتوضيح الصورة الحقيقية التي لطالما كانت نقطة جدل .

تحديد إشكالية البحث :

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن أهمية الهويّة ، وضرورة الحفاظ على الهويّة في ظّل الإحتكاك بالشعوب الأخرى ، والإتّصال فيما بينها مع الإعتراف بالتنوع الثقافي .

- **أهداف هذا البحث** الكشف عن أهميّة اللغة في الحفاظ على الهويّة .
- الكشف عن دور الثقافة في تطوير وإثراء المجتمع .
- الدفاع عن الهويّة والحفاظ عليها في ظل الكلونيالية والسيطرة الاستعمارية .

- أهمية البحث :

- تتجلى أهميته في كونه يبرز أهميّة الحفاظ على الهويّة واللغة في ظل التغيرات الثقافية التي فرضتها العولمة بتوحيد الأنشطة الإقتصادية الإجتماعية ، الفكرية ، و السياسية ، وخطر تدمير الهويّة ، ويكشف عن محاولة الإستعمار طمس الهويّة والقضاء على اللغة .

- مصطلحات البحث :

1- اللغة .

2- الهويّة .

3- المثاقفة .

4- الكولونيالية .

- المنهج العلمي للبحث : تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي ، الذي يعتمد على جمع المفاهيم والحقائق والمعلومات وتحليلها .

العنوان : اللغة وثلاثية الهويّة والمثاقفة والكولونيالية " .

خطة البحث :

الفصل الأول : اللغة والهوية

المبحث الأول : - مفهوم اللغة (إصطلاحي) .

- (خصائصها و وظائفها)

المبحث الثاني : مفهوم الهويّة "الإصطلاحي " .

- (مقوماتها ، أسسها ، انواعها ، المواطنة)

المبحث الثالث : علاقة اللغة بالهوية

الفصل الثاني : اللغة والمثاقفة

المبحث الأول : مفهوم الثقافة لغة واصصطلاحا .

- مفهوم المثاقفة .

المبحث الثاني : الترجمة مفهومها لغة واصطلاحاً .

- علاقة الترجمة بالثقافة .
- دور الترجمة في المثاقفة .
- أهداف العلولمة الثقافية
- التثاقف وآثار العولمة

المبحث الثالث : مفهوم العولمة لغة واصطلاحا .

- الترجمة والعولمة .
- الترجمة والفعل الثقافي في عصر العولمة
- العلاقة بين اللغة والثقافة

الفصل الثالث : الظاهرة الكولونيالية .

المبحث الأول : مفهوم الكولونيالية

مفهوم ما بعد الكولونيالية وما بعد الإستعمارية

المبحث الثاني: علاقة الأنا بالآخر

- الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية
- أسباب الكتابة بلغة االآخر (الفرنسية)

المبحث الثالث: رواية" سأهبك غزالة "لمالك حداد نموذجا

خاتمة .

تيارت يوم : 2020/10//19

الطالبتان :

- بخيرة إكرام

- أولاد علي إيمان

الفصل الأول

اللغة والهويّة

المبحث الأول : – مفهوم اللغة إصطلاحا

المبحث الثاني : مفهوم الهوية (مقوماتها ، أسسها ، أنواع المواطنة

المبحث الثالث: علاقة اللغة بالهوية

تمهيد : ترتبط اللغة بالهويّة اِرتباطاً وثيقاً ، فاللغة تعبّر عن الانسجام الحاصل بين أفراد المجتمع فاللغة هي الوسيلة التي يعبّر بها الفرد عن هويته ويحافظ عليها ، ومن هنا تتخذ علاقة اللّغة بالهويّة طابعها الإشكالي الأبرز حينما يتعلق الأمر بالهويّة ، فإشكالية اللغة الرسمية والهوية الوطنية كانت ولازالت قضية جوهرية تثار في الميادين المعرفية خاصة مع التحولات الفكرية والسياسية التي يشهدها العالم والصراعات التي سببها الإستعمار الحديث ، فالمعروف أنّ الهوية هي المظاهر الفكرية والثقافية والروحية التي تميّز مجتمع ما عن غيره ، والملامح التي تعكس طريقة حياته وعاداته وتقاليده ، وهذا كا يطرح التساؤل الآتي حول علاقة اللغة بالهوية ؟ وللإجابة على هذا التساؤل وجب علينا الوقوف على عدّة مصطلحات .

المبحث الأول : – مفهوم اللغة إصطلاحا:

أرتبط مفهوم الهوية منذ ظهوره بمصطلح اللغة (و بما أن اللغة خاصة بكل مجموعة على حدة، و بما أن كل مجموعة خصوصيتها فإن هذا النظام لا يمكن أن يكون مجرد وسيلة اتصال محايدة بل إنّه يصدق عليه تعليق كريستين فريشات **christin frichette** القائلة إنّ اللغة حاملة لهوية القيم تاريخيا و معنى أنها تحقق تلاحم إجتماعي و تدعم تنامي الاحساس بروح الانتماء إلى المجموعة) هو الأمر ذاته الذي سبق لساطع الحصري تأكيده بقوله: (أن وحدة اللغة ترسخ نوعا من وحدة الأفكار و المشاعر... و إن اللغة هي الصلة الأكثر متانة التي تربط بين الفرد و المجموعة).[1]

تتجاوز العلاقة بين اللغة و الهوية المفهوم القائم بأنّ الهوية أداة تواصل بين الأفراد و طريق عبور بين مجتمعات فهي تحافظ و توّحد بين المجتمعات، فهي أداة فاعلة في إنتاج ذات الهوية و تطويرها، فهي تلعب دورا كبيرا في تشكيل الهوية الاجتماعية، فهي تتعدى كةنها عنصرا عاديا من عناصر الهوية إلى أنها عنصر أساسي في بناء الهوية.

[1]– مجلة الأثر : أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، سعاد بضياف، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، أ د لبوخ بوجملي، جامعة باتنة، 2 الجزائر ، ص 197.

فاللّغة من أهم ما وهب الله للإنسانكونها تميز بين الإنسان و سائر الحيوانلذلك إعتنى بها كثير من العلماء و ألفوا كتبا عديدة حول موضوعه كما اخذتلف العلماء في تعريف اللغة، و هذا ما طرح مغاهيم كثيرة و متعددة من قبل العلماء و على رأسهم ابن جني و غيره.

و قد أخذت الأمم في وقتنا الحاضر تتنافس في تعليم لغتنا و نشر ثقافتنا باعتبار أنّ اللغة اِمتداد لكيانها و وجه معبر عن ثقافتها و حضارتها في العالم.

و إذا أردنا الحديث عن مفهوم اللغة الغصطلاحي نتصادف مع مفهوم ابن جني (330هـ / 392هـ) قد عرّف اللغة (بأنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).[1]

فاللغة هي الأداة أو القالب الذي يطرح فيه الفرد أفكاره و يعبّر عنها بالتواصل مع الغير فابنظر علماء اللغة محدثين ابن جني لم يقل (ألفاظ) بل قال (أصوات) و هذا أحسن و ألبق تعريف في علم اللغة الحديث، لأنّالأصوات أجمل و أعمق، و علم الأصوات من أحدث علوم اللغة.

أما قوله: (يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم) فهي وظيفة اجتماعية و معرفية و تواصلية للغة.

ليكون الإنسان مستقل لابد له من التعاون و التعارف مع غيره، و هذه وسيلة أساسية للإتصال.

فهذا المفهوم يتضمن مجموعة من الخصائص اللغوية الإنسانية(اللغة ذات طبيعة صوتية، اللغة وظيفة اجتماعية) .

أما مفهوم اللغة عند ابن خلدون (أعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذا هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني و جودتها، و قصورها، بحسب تمام الملكة أو نقصانها و

[1]-جون ليون، اللغة و علم اللغة ، ز، الناشر دار النهضة العربية، ط1.

ليس ذلك بالنظر إلى المفردات و إنما هو النظر إلى التراكيب)[1]

و نجد في تعريف ابن حزم أنّها (ألفاظ يعبّر بها عن المسميات و عن المعاني المراد إفهامها و لكل أمة لغتها)[2]

و عند الجرجاني: (اللغة هي ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم).[3]

كل هاته المفاهيم نستخلصها في جملة من التعريفات :

- اللغة أصوات و ألفاظ و تراكيب و ملكات.

- اللغة نظم متوافقة.

- اللغة تدل على الرموز الصوتية الإرادية العرفية.

- اللغة تتعدد بتعدد بيئات الإتفاق.

- اللغة تستعمل للإتصال الفردي و الإجتماعي.

تعدّ اللغة من أسمى مظاهر الحضارة و هي حلقة أساسية في سلسلة النشاط الإنساني و تبرز أهميتها في ما تؤديه في حركة الحياة.

فهي عبارة عن نظام من الرموز الصوتية الإعتباطية، التي يتفاعل بواسطتها أفراد المجموعة و يقيمون علاقات في ما بينهم.

و باللغة يعبر الأفراد عن حاجاتهم، و هذا ما أشار إليه ابن جني حين حدّ اللغة بأنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهي وسيلة للتواصل.

---

[1]- ابن خلدون، مقدمة، ج 1 ، ط 4، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1978.

[2]- ابن حزم ، الأحكام في أصول الأحكام، ج1، القاهرة، دار الفكر، 1978.

[3]- السيد شريف الجرجاني، تعريفات تونس 1971

و قد دخل عليها التطور الإنساني في مراحل إكتماله فلم تظهر على حالها إلا في مرحلة متقدمة من هذه المراحل، و تكونت أثناء التطور الإنساني بتسييرها للحضارة و مواكبتها لحركة الحياة في تطورها فهي لا تقف في معزل عن الأحداث و الأوضاع الراهنة و المستجدة فلو نظرنا إلى كلمة "قطار" في العربية لوجدنا معناها "جمال" يسير بعضها خلف بعض.

لكن تطور مفومها للدلالة على القطار المعروف بصورته الحالية بعد ظهور سكك الحديد، و لا يقتصر الأمر على هذه الكلمة، بل الكثير من الكلمات طرأ عليها التغيير في مفهومها و دلالاتها.

و لو قارننا لغة الآداب العربية التي سادت في القرون الوسطى لمثيلها في هذا العصر لوجدنا إختلافا بينهما فقديما ظهرت الكتب المسهبة و المطولة (ألف ليلة و ليلة، أبي زيد الهلالي) فقد كان يؤرخ هذا الأخير للحدث التاريخي بكل تفاصيله و كيفياته.[1]

فاللغة هي البؤرة التي يتعالق من حولها نسيج أمة ما. و باللغة تستطيع أن تتحدث أية مجموعة عن هويتها الخاصة، و لا شك أن التحقيق النفسي للذات يتجسد في أفضل صورها من خلال الشعور بالإنتماء الأصيل إلى هوية محددة.

أول عناصرها الجوهرية "**اللغة**" و هي ما تركه الشاعر "صقلية إجنازيو بوتينة" من وجع ما يطابق اللغة عن الهوية (إن الشعوب يمكن أن تتكبل بالسلاسل و تصدق أفواهها و تشرد من بيوتها و يضلون مع ذلك أغنياء فالشعب يفتقر و يستعبد ماء ماء يسلب اللسان الذي تركه له أجداده، عند إذ يضيع إلى الأبد) [2]

[1]- بتصرف، اللغة و المجتمع عند العرب (الجاحظ نموذج)، ص 13 14 16 18 20 21.

[2]- جابر عصفور، التنوع البشري الخلاق، المجلس الأعلى، القاهرة 1997، ص 200.

و ليس بأقل من ذلك ما قاله "رولان بارت": (كل أمرء سجين لغته، و عندما يكون بعيدا عن طبقته فإنّ أول كلمة ينطق بها تسير إليه، و تحدد موقعه تماما و تلعن عنه و عن ماضيه كله و ينكشف المرء و قد أسلمته لغته و خانته حقيقة شكلية متمردة على أكاذيبه العفوية و المبيتة)[1]

و لا يمكن تعريف مجموعة من البشر على أنّهم أمة أو شعب أو جماعة قومية من دون أن تكون لهم لغة خاصة يتفاهمون بها و يعرفون بها العالم والظواهر و يشعرون أنها قاسمهم المشترك الأول و المصير و إذا ما نظرنا إلى هذا العدد الهائل من اللغات في العالم فإننا ننظر في الوقت نفسه إلى عدد هائل من الهويات.

اللغة نظام من الرموز التوفيقية تستخدمه مجموعة بشرية للتواصل فيما بينها ، وعندما نقول أنّ شخصاً يتقن لغتين مثلاً ، فإننا نعني أنّه يعرف نظامين مستقلين من الرموز التوفيقية ، وبالتالي يستطيع التواصل مع أفراد ينتمون إلى مجموعتين بشريتين لكل منهما نظامهما نظام لغوي خاص .

من هنا فإنّ جميع اللغات المعروفة تستخدم رموزاً صوتيّة منطوقة خاصة بكل منها للتعبير عن نفسها خلال الكلام ، وبالرغم من أنّ الكلام يعدّ وسيلة أساسيّة لتحقيق عملية التواصل إلاّ أنّ هناك وسائل أخرى تستخدم وفق ظروف معينة مثل **اللغة** التي يستخدمها الصم والبكم التي هي عبارة عن إشارات ورموز عن طريق اليدين .

يعرّف سابير **Sapir** اللغة بأنّها نظرية بشرية وغير غريزية لنقل الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز تنتج طواعيّة " [2] .

[1]- رولاند بارت، هسهسة اللغة، ص 28، م س .

[2]ينظر : رولاند بارت، هسهسة اللغة، ص 28 .

أما بلوك وتريجر " 5: 1942" **Blouchaud Trager** فقد ذهبا في كتابهما " الموجز في التحليل اللغوي " إلى أنّ اللغة منظومة من الرموز الصوتية التوفيقية يمكن بواسطتها لمجموعة من الناس في مجتمع معيّن أن تتعاون .

ويختلف هذا التعريف عن تعريف سابير ذلك أنّه لا يركّز على أهمية الوظيفة التواصلية للغة ، وبدلاً من ذلك فإنّه يؤكّد على وظيفتها الإجتماعية .

ويذهب هول " 115: 1968 **Hall** " في كتابه مقالة عن اللغة ، أنّ اللغة نمط سلوكي جماعي يقوم به بنو البشر بواسطته الاتصال والتفاعل بعضهم مع برموز شفهية سمعيّة توفيقيّة يستخدمونها بحكم العادة . [1]

- اِشتمل التعريف على كلمتين الاتصال والتفاعل بدلاً من اِصطلاح " التعاون " .

- أشار إلى المتكلم والمستمع معاً ؛ أي تلقي المتلقي للإشارات الصوتيّة من طرف المرسل .

- استخدام إصطلاح " النمط السلوكي " للدلالة على أنّ اللغة التي يستعملها الأفراد هي جزء من ثقافة مجتمعهم.

قال الجاحظ في كتابه الشهير " البيان والتبيين " " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب بدون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته " .

ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ،و من أي جنس كان الدليل لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنّما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع " ، وهنا يرى الجاحظ إلى بلاغة الإشارة

[1]- ينظر : رولاند بارت، هسهسة اللغة، ص 29.

باعتبارها مكملاً لبلاغة العبارة واللّفظ والحظ ، باعتبارهما وسيلتان لغويتان للإشارة والعقد والحال الدّالة .

" ليس الدور الذي تلعبه اللغة ، إذن في حياة الفرد والجماعة منحصراً في القدرة على الإفهام وتوصيل المعاني المجردة ، فتلك الأهداف يمكن أن تؤدي حق ي غياب اللغة ، ولكن اللغة هبّة تمثل أول درجات تميّز الكائن البشري على ما عداه من الكائنات .

قال الله تعالى : (**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)[1] .

ومن هنا فإنّ الله عزّ وجلّ ميّزنا وأخصّنا باللغة عن باقي الكائنات الأخرى [2].

خصائص اللغة:

اللغة سمة أنسانية: من بين خصائص العامة التي تشترك فيها جميع اللغات البشرية ما يأتي

اللغة سمة إنسانية: لأنها تميز الإنسان عن باقي المخلوقات فهي ترتبط بالقدرة العقلية لدى الإنسان دون غيره بالإضافة إتصاله بالأشياء مثله مثل باقي المخلوقات: التذوق اللمس، الشم، إلى آخره(لكن الإنسان يمكنه أن يتصل بهذه الأشياء و باللغة و هو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه)[3]

اللغة نظام:

[1] سورة الرحمن ، الآيات 1، 2، 3، 4.

[2] أحمد درويش ، إنقاذ اللغة ، إنقاذ الهويّة ، تطوير اللغة العربية ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى يناير ، 2006م .

[3] – أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات التطبيقية، توظيف البعد التداولي للتواصل اللغوي، جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان– كلية الأدب و اللغات.

اللغة عبارة عن نظام يتكون من مستويات و يتشكل من وحدات خاصة و رموز لها معاني متعارف عليها و يشترط الإلتزام بهذا النظام و قواعده و ضوابطه ليحصل الإفهام و التفاهم.

اللغة الصوتية: فاللغة تتكون من أصوات تصدرها أعضاء النطق الإنساني و تأتي هذه الأصوات في شكل تتابعي محدد و معين.

اللغة سلوك مكتسب: فهي سلوك مكتسب من المجتمع عن طريق الإحتكاك و المحاكاة و الحوار القائم بين الأفراد لِاكتساب لغة الوسط الذي يعيش فيه الفرد.

اللغة النامية: اللغة يطرأ عليها تغيير و تطور حسب أحوال الفرد و المجتمع ة تطوراته و هذا التغيير يبقى محصورا في كلماتها القاموسية و حقولها الدلالية

وظائف اللغة:

إن الإنسان يعيش عيشة جماعية مع مجموعة من الجنس البشري تربطه بهم عوامل متعددة من النسب و اتحاد الغايات و الآلام و العواطف، و غيرها من الروابط الاجتماعية لتستقيم حياته و تنتظم أموره و لا نستطيع أن نتصور مجموعة من الناس يمكنهم الإستغناء عن وسيلة التفاهم بينهم و من الجهود المبذولة لتحقيق تفاهم و استخدام اللغة.

و اللغة كما عرفنا أنها أهم ما وصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم لما تمتاز به من اليسر و الوضوح. لأن الكثير من العواطف و المعاني لا يمكن التعبير عنها إلا باللغة و تكون هذه اللغة ذات وظيفة كبرى في حياة الفرد و الجماعة و للغة وظيفتين: الأولى وظيفتها في حياة الفرد و الثانية وظيفتها في حياة المجتمع.

أولا وظيفة اللغة في حياة الفرد: عرفنا أن اللغة هي وسيلة اتصال للفرد بغيره للتعبير عن آلام و عواطف و لإدراك حاجاته. تعد هذه الظاهرة من الفوارق بين الإنسان و غيره من الأحياء.

حيث تهيئ له فرص كثيرة للفهم و الانتفاع و زيادة الانتاج الفكري. و وسيلة للإقناع في مجالات شتى للتأثر و التأثير .

ثانيا وظيفة اللغة في حياة المجتمع: هي أداة تفاهم بين الجماعات و سلاح الفرد في المواجهة و تتطلب الإستماع أو الكلام أو القراءة أو الكتابة في إتمام عملية التفاهم من جميع النواحي.

و من وظائفها الاجتماعية: الدعاية، الخطبة، المقالات، الإذاعة كلها وسائل لغوية التي أصبح لها شأن خطير في حياة الإنسان، أيضا الإرتباط اروحي بين أفراد مجتمع معين قد تختلف مجموعة الدول في البيئة و الجنس و الدين و الفوارق الاجتماعية و الاقتصادية، لكنها تصل متحدة و متماسكة إذ كانت لغتها واحدة.[1]

تتمثل الوظائف في أنها تحافظ على التراث الذي تملكه الشعوب و تثير العواطف و الأفكار و توثق الروابط الاجتماعية من خلال الاتصال بين الناس و انتقال المعلومات. و تعتبر وسيلة من وسائل إبراز الفكر و التعبير عن المشاعر.

الوظيفة النفسية: تعد اللغة أداة من أدوات التركيب و التحليل فهي تستخدم في إثارة الأفكار و العواطف و التحدث عن المشاعر و المواقف.

الوظيفة الفكرية: الانسان يتسم بقدرته على التحليل و التركيب و التجريد و التصور، و اللغة هنا تقدم تعابير جاهزة كما أنها تعتبر وسيلة لإبراز الفكر.[2]

و من الوظائف الأخرى: وظيفة التعبير، الإستدعاء، الإستحضار، التنظيم، الفاعلية، الاستكشاف، الشخصية، التخييل. [3]

[1]- سمير شريف أستستية اللسانيات المجال الوظيفي و المنهج، الأردن، عالم كتب الحديث 2005.

[2]- عبد الله حسن ، 2014/06/11، من وظائف اللغة.

[3]- بتصرف، سامي الشريف أيمن منصور، ندى اللغة الإعلامية، مفاهيم الأسس و التطبيقات، ص 15 16.

– **الهوية** " يستند الأستاذ عفيف البوني في تحديده لمفهوم الهويّة في دراسته عن الهويّة القوميّة العربية إلى القاموس الفرنسي **La Rousse** وكذلك إلى الانسكوبيديا الشاملة **universelis Encyclopedain** على أساس أنّ مصطلح الهويّة يقابل كلمة **Identité** في الفرنسية و **Identity** في اللغة الإنجليزية حيث مرجعها الأصلي ، ولا يتبيّن ويعني الشيء نفسه ، كما يعني ذلك في اللغة الفرنسية مجموعة من المواصفات التي تجعل من الشخص ما هو عينه شخصًا معروفاً أو متعيناً " .

ومن هنا الهوية ماهية الشخص وحقيقته الجزئية ، وتعبّر عن الشخص نفسه وتميّزه عن غيره .

الهويّة في اللغة العربية مصدر صناعي مركّب من " هو " ضمير للفرد الغائب المعرّف بأداة التعريف " أل" ومن اللاحقة المتمثلة في " يّ " المشددة ، وعلامة التأنيث " ت " وقد عرّفها الجرجاني بأنّها الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار والهويّة عند " ابن رشد " تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود عند " الفرابي " هويّة التي عينه ، وشخصيّة ، وخصوصيّة الوجود المنفرد له الذي لا يقع فيه إشتراك ، وفي الغرب كان استخدام كلمة **SOI** و **Id** لمصطلح في التحليل النفسي [1].

من هنا نستنتج أنّ الهويّة هي الإختلاف والتمييز بين الأشخاص ؛ حيث لكل ذي حريته وشخصيته وخصوصيته التي من المحال أن يقع فيها الإشتراك .

– **مفهوم الهوية :** مفهوم حديث ظلّ في مفترق الطرق بين علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبووجيا ، و لم يعرف اهتمام حقيقي من طرف الباحثين إلاّ مع مطلع السبعينات .

لقد أصبحت الهويّة مفهوماً يشغل اهتمامات كثير من ميادين البحث مما زاد في صعوبة تعقيده ، وعدم القدرة على إعطائه مدلولاً صالحاً لكل هاته الميادين ، وفي هذا الصدد يكتب

[1] موسوعة علم السياسة ، د . ناظم عبد الواحد جسور ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ص 313.

ORLAL.M قائلا : " إنّ كل المحاولات لإعطاء تعريف واضح ونهائي لمفهوم الهويّة ؛ بحيث يرضي النفسانيين والاجتماعيين والأنثروبولوجيين ستظل بدون جدوى " .

نرى بأنّ مصطلح الهويّة لم يحظى بالاهتمام اللازم من طرف العلماء والباحثين إلاّ مع مطلع السبعينات ، وذلك لإختلافه وتشتته بين علم النفس والإجتماع والأنثروبولوجيا ، كما أصبح مفهوم الهويّة يشغل العديد من ميادين البحث مما زاد في غموضه [1].

تعريف **Grikson .EH** لعملية تكوين الهويّة ؛ أي أنّ الشعور الواعي لامتلاك الهويّة يقوم على ملاحظتين متلازمتين .

إدراك الإنسان لتشابهه مع ذاته وبإستمراريته وجوده في الزمان والمكان وإدراك في نفس الوقت إنّ الآخرين يعترفون له بهذا التشابه وبهذه الإستمرارية ، غير أنّه في إطار العولمة يطلب منه أن يشبه الآخر ، وبأن ينقطع عن هذه الاستمرارية لهذا فإنّ الهويّة هي إفتراض ضرورة إحساس الفرد داخلياً بأنّه واحد ، وبأنّه هو نفسه طيلة ميزته الشخصيّة في الزمان والمكان .

إستناداً إلى **Grikson .EH** نجد أنّ الهويّة هي ضرورية لإقناع الفرد بذاته ، وبأنّه واحد وهو نفسه طوال حياته في الزمان والمكان [2].

– **اللغة :** تعدّ اللغة من أسمى مظاهر الحضارة ، وحلقة في سلسلة المشاط الإنساني ، وتبرز أهميتها في ما تؤد به من دور في حركة الحياة .

اللغة عبارة عن نظام من الرموز الصوتية الإعتباطيّة ، يتفاعل بواسطتها أفراد المجموعة ويقيمون علاقات فيما بينهم .

---

[1] محمد سالم ، الهوية و العولمة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ص53

[2] المرجع نفسه ، ن ص.

وباللغة يعبّر الأفراد عن حاجاتهم ، وهذا ما أشار إليه ابن جني حين حدّ اللغة بأنّها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم .

فاللغة وسيلة التواصل وقد اكتسب التطور الإنساني في مراحل إكتمالها لم نعرفها على حالها إلاّ في مرحلة متقدمة من هذه المراحل ، وتكونت في أثناء التطور الإنساني ، إنّها تساير الحضارة وتواكب حركة الحياة في تطورها ، ولا تقف في معزل عن الأحداث والأوضاع الحاضرة والمستجدّة ، فلو نظرنا إلى كلمة قطار في العربية لوجدنا معناها جمال يسير بعضها خلف بعض ، لكن تطور مفهومها للدلالة على القطار المعروف بصورته الحالية بعد ظهور السكك الحديدية ، ولا يقتصر الأمر على هذه الكلمة ؛ بل إنّ كثير من الكلمات لحقها التغيير في مفهومها ودلالتها أيضًا [1].

ولو قارنا لغات الآداب العربية التي سادت في القرون الوسطى بمثيلتها في هذا العصر لرأينا اختلافاً بينهما جلياً ، ففي الماضي ظهرت الكتب المسهبة والمطولة " ألف ليلة وليلة ، وأبي زيد الهلالي " وكان يؤرّخ للحدث التاريخي بكل تفاصيله وكيفياته كنهاية الأمويين ، وأزمة البرامكة ، ويعود ذلك إلى خطى الحياة البطيئة ، وصعوبة المواصلات ، وإذا كانت الرحلات التجارية وغير التجارية تستغرق وقتاً طويلاً ، كما أنّ معظم الناس آنذاك لم يرتبطوا بوظائف تحدد عليهم أوقاتهم فكانت سهرات المسامرة [2]. تطول ولقطع هذه الأوقات الطوال في السفر أو الإقامة ظهرت مثل تلك الكتب التي تفيض بالأحداث والتفاصيل ، أمّا اليوم فلا يمكن أن ينجح هذا النهج القصصي أو الإخباري ، أو يستأثر باهتمام الناس ، فآليّة العمل وخطى الحياة المتسارعة نفرض ذاتها على اللغة حتى بات المحرر الإخباري الناجح هو الذي يحرر الخبر بأقل الجمل ؛ بل بأقل الكلمات في الجملة الواحدة ، وفي خضّم التحولات و التطورات الحضارية تحتاج اللغة إلى فيض دائم من

[1] ك .اللغة والمجتمع عند العرب " الجاحظ نموذجا " ص 13، 14، 16. .

[2] اللغة ، م م ، ص 248

المصطلحات لتواكب عجلة التقدّم إذا ً" لا حياة للغة بدون ألفاظ جديدة تواجه الزمن ومستحدثات التطور " ، فاللغة العربيّة فتحت مصراعيها وما زالت تفتحها لألفاظ ومصطلحات لم تكن معروفة من قبل في المجتمعات العربية ، كالتلفاز ، التلغراف ، الإنترنت ، وهذا ما فعلته باقي اللغات الحيّة ، فعلى سبيل المثال أمد العالم الروسي لومو نوزوف **Lomonosov** اللغة الروسيّة بفيض من المصطلحات التجريدية عندما لاحظ أنّ العالم الروسي يفتقر إلى عدد من الأفكار العلميّة [1].

2- اللغة : كما أنّ الإستعمار ينقل لغة ما إلى أوساط مختلفة ، وما يؤدي إلى تغيرات فيها ولاسيما إذا تغلبت لغة الغالب على لغة المغلوب ، من ذلك أنّ الإنجليز السكسونيين حينها نزحوا من أوساط أوروبا إلى إنجلترا لم تلبث لغتهم أن تغلبت على اللغات التي كان يتكلم بها السكان الأصليون ، وكذلك نجم عن فتوح الرومان في وسط أوروبا وجنوبها وشرقها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا ، وبلاد الجول **Co Goule** ، فرنسا وما إليها ، والألب الوسطى **Alpes Contales** و الإليترا **Illyriet** وهذه الألفاظ ينالها كثير من التحريف في أصواتها ودلالاتها وطريقة نطقها ، فتبتعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة ، وفي عصرنا هذا يجري إستخدام كثير من الألفاظ الإنكليزية والفرنسية في المجتمعات العربية [2].

مثل **Thank you – Hi - Good bay** في الإنجليزية ، في الفرنسية – **Merci –bonjour Adieu**.

– تشومسكي وفلسفة اللغة : يمكن إلتماس فلسفة اللغة في مجال آخر غير المجال الذي يبحث فيه الفلاسفة حين تثيرهم المشكلات التي لها علاقة باللغة نقصد المجال الذي يبحث فيه علماء اللغة أنفسهم حين يريدون البحث في طبيعة اللغة وكيف يتعلم الطفل اللغة ، وكيف تتطور قدرته

[1] ك . اللغ والمجتمع عند العرب ، " الجاحظ نموذجا " ، ص 13، 14، 15، 18.

[2] اللغة ، م .م ، ص 248.

اللغوية ، وحيث يبحثون في تركيبات الجمل وبنائها ، لقد فتح هذا المجال من بين علماء اللغة المعاصرين نوام تشومسكي**Noami Chomsky**أحد رواد علماء الأدب الأمريكان المعاصرين وأستاذ اللغويات الحالي في معهد تشومسكي التكنولوجي ويسمي مدرسته اللغوية الجديدة " النظرية التحويلية في النحو " **Transformationnel theory of gammar**ويمكن فهم الثورة التي أحدثتها هذه النظرية إذا طبقنا فكرة التمييز بين الظاهر والحقيقة في الفلسفة في ميدان اللغة " .

قد نقول مع أفلاطون مثلا – إنّ العالم الذي نعيش فيه يعبّر عن ظاهر الحقيقة لأنّ معرفتنا له تعتمد على شهادة الحواس ، وهذه قد تكون خادعة فلا موضوعية فيها ، وإذن فليست وما يمكننا إدراكه بالعقل وليس بالحواس ؛ أي نؤوّل مع كانط أنّ العالم المحسوس عالم ظواهر ندركه بالحواس والعقل والإستدلال العلمي ، لكن هذا العالم الظاهري يخفي عالماً حقيقياً ، وإننا نجهل هذا العالم الحقيقي ولا تستطيع قدراتنا العقلية المحدودة إدراكه أو معرفة ماهيته ، ورأى كانط أننا يمكننا في ذلك العالم أن نلمس الوجود الإلاهي ، ومعاني الخلود ، والحرية واللانهاية ، والمطلق [1].

المبحث الثاني : مفهوم الهوية (مقوماتها ، أسسها ، أنواع المواطنة

تمهيد : يحتل موضوع الهويّة بصفة عامة موقع الصدارة في مجالات شتى خاصة الفكرية والسوسيوثقافية ؛ حيث أصبحت كلمة **هوية** تستعمل للدلالة على المواقف التاريخية الراهنة التي تعرفها الأمم بنخبها ومفكريها ، خاصة في ظل الصراعات القائمة بين الديانات والحضارات والإيديولوجيات ، والسياسات ، وغيرها من التوجهات المنتشرة هنا وهناك .

والهويّة واحدة من المسائل التي أثارت الكثير من الإشكاليات سواء على المستوى العالمي أو داخل الوطن العربي ؛ حيث شهدت الساحة الفكرية العربية الإسلامية ، ولا تزال إلى اليوم صراعات فكرية واضحة خاصة في ظل التنوع الإيديولوجي والمذهبي .

[1] ك . في فلسفة اللغة ، ف تشومسكي ، وفلسفة اللغة ، ص 141.

وفي الحقيقة أنّ موضوع الهويّة لم يطرح في سياق إشكالي مصادفة ؛ بل جاء نتيجة لصراع فكري قديم ، بالإضافة إلى التغير الفكري الكبير الذي شهده العالم على أكثر من صعيد من جملة إفرازاته **العولمة** ، وهذه الأخيرة التي زادت من حدّة الصراع بين الأطراف المتصارعة من خلال ما تحمله من أفكار وشعارات جديدة ، وما فرضته من أساليب جديدة على أكثر من صعيد ، كدعوة صريحة لعقلنة الفعل الإقتصادي ، والإجتماعي ، والثقافي .

ومن خلال البحث في الإشكالية القائمة بينهما ، فإذا كانت الهويّة حقيقية وخصوصيّة لها مفكرون يشتغلون عليها ، مهما كانت وجهتهم المذهبيّة ، فإنّ العولمة كظاهرة لها أيضًا من هم قائمون على تفعليها ، وعليه العلاقة بينهما أصبحت مطروحة بهذا الشكل ، **هل منطق الهويّة يغاير العولمة أم يتعايش معها ؟** .

– الهويّة ومقوّماتها :

– **المعنى اللغوي :** تستعمل كلمة الهويّة من حيث الدلالة اللغويّة في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى مطابقته لمثله ، وحتى في المعاجم الحديثة فإنّها لا تخرج عن هذا المضمون ، فالهويّة هي الحقيقة المطلقة للشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميّزه عن غيره ، وتسمى أيضًا وحدة الذات ؛ أي خلوّها من التناقضات والتشتت ، كما نظر إليها البعض من هذه الزاوية [1] على أنّها مقوله تعبّر عن تساوي و تماثل موضوع أو ظاهرة ما مع ذاته ، أو تساوي موضوعات عديدة مع بعضها ، فالموضوعان (أ) و (ب) يكونان متطابقان من حيث الهويّة إذا وفقط إذا كانت كل الصفات والعلاقات التي تميّز (أ) مميّزة أيضًا للموضوع (ب) والعكس بالعكس .

[1] الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري ، سلسة المنشورات ، 1997م ، مطبوعات أكاديمية ، ط02، بيروت لبنان.

والهويّة إسم في أصله غير عربي وإنّما اِضطر إليه بعض المترجمين فاشتق من حرف الرباط ؛ أعني الذي يدل عند العرب على إرتباط المحمول بالموضوع في جوهره ، وهو جزء (**هو**) وتعرف في الفرنسية بـ **Identité** وفي الإنجليزية **Identity** وفي اللاتينية **Identitay** ، والهويّة عند القدماء عدّة معانٍ وهي : التشخيص ، الشخص نفسه ، الوجود الخارجي ، قالوا ما به الشيء هو باعتباره تحققه يسمى حقيقة وذاتاً ، وباعتبار تشخصه يسمى الهويّة ، وإذا أخذ أعم من هذا الإعتبار يسمى الماهيّة .

وبالتالي يمكننا القول عن المفهوم اللغوي للهويّة إنّه يعني المماثلة والتجانس والتطابق والوحدة.

والحقيقة أنّ المفهوم اللغوي للمصطلح لا يعبّر سوى عن البعد النفسي للشيء المعرّف ، ومن هنا يمكننا تقديم المقاربة المفاهمية من الناحيّة الإصطلاحية .

- المفهوم الإصطلاحي للهويّة :

إنّ الحقيقة التي نؤكدها ونحن بصدد الحديث عن مفهوم الهويّة هو أنّ هذه الأخيرة لم تكن معروفة في ثقافتنا العربية الإسلامية ، ولم تعرف لدى العرب المسلمين إلاّ حديث ، فالبحث في المعاجم العربية يشير إلى ما لا يدع مجالاً للشك إلى هذه الحقيقة ، فالمصباح المنير ، والقاموس المحيط ، ولسان العرب تخلوا عن هذا المصطلح الحديث ، ولعلّ التعريف الوحيد للهويّة الذي عرفته الثقافة العربية الإسلاميّة هو التعريف المنطقي لها ؛ حيث عرّفها الفرابي على أنّها من الموجدات وليس من جملة المقولات ، فهي من العوارض اللازمة وليست من جملة اللّواحق التي تكون بعد الماهية " [1].

[1] عبد الله الحافظ مجدي ، مجلة الحوار الفكري ، العدد الأول ، جويلية ، 2001 م ، ص 60.

كما حدد هويّة الشيء بأنّها وحدته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له ، كما أنّ ابن رشد قد عرّف الهويّة في الإطار نفسه يعني من الزاوية المنطقية ، وهذا ما يفهم من نص ابن رشد ، الهويّة تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود ، وهي مشتقة من الهو ، كما تشتق الإنسانية من الإنسان .

وبناء على ما تقدم يمكن أن نقول : إنّ مفهوم الهويّة كرسم – ه–و–ي مصطلح مترسب إلى الثقافة العربية الإسلامية ، وليس أصيلاً فيها ، وزمان تسربه يعود إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، والذي يبرز هذا الحكم في إعتقادنا هو ظهور الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي عرفتها الثقافة العربية ، وأصبحت تشتغل عليها النخبة المثقفة ؛ حيث ظهرت في هذه الفترة مصطلحات كثيرة " الحرية ، الأمّة ، القوميّة ، المواطنة ، الثورة ، المساواة ، الوطنيّة ....".

ولعلّ أول من إستخدم مصطلح الهويّة في العصر الحديث في الثقافة العربية الإسلامية " سلامة موسى" و " حسن ابراهيم اليازجي " ، ومنه يمكن القول إنّ هذا المصطلح قد وفد إلينا ضمن منظومة المصطلحات السابقة ، وغيرها من المفاهيم الجديدة ، لكنن بالرغم من كل هذا نلمس بعض التعاريف لدى المثقفين العرب لهذا المصطلح ، فنجد على سبيل المثال : الأستاذ " محمد سبيلا " يرى أنّ الهويّة القوميّة هي : مجموعة السمات النفسية والإجتماعية والحضارية المميزة لأمتنا عبر تاريخها الطويل ، ويعتبرها " محي الدين صابر " الاسم السياسي للشخصيّة التاريخية ، أو الشخصيّة الثقافية أو الكيان الحضاري بمجموعة من الناس في مكان معين ، وهي تمثل الخصائص الحضارية التي استدعتها المجموعة التي تنتمي إليها من **اللغة ، الدين ، القيّم الجماليّة والأخلاقيّة** ، والمهارات التقنية وفلسفة الحياة والموت ، ويرى " عفيف بهنس " " أنّ الهويّة تتحقق بفعل العوامل المتراكمة والمتنوعة التي تنحدر من مجموعة بشرية ذات خصائص تاريخية وجغرافية وإنسانية مشتركة لهذه المجموعة ، ويعني الهويّة ، ولكنه لا يتحكم في تحديد خصائصها التي تتجلى بمجموعة من الأفعال التي تقوم بها أمّة من الأمم " .

كما يعرّفها رشاد عبد الله الشامي " بأنّها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الإجتماعية التي ينتمي إليه ، والتي عن طريقها يتعرف عليها الآخرون باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة ، وهي شفرة تتجمع عناصرها العرقية على مدار تاريخ (**الجماعة**) التاريخ من خلال تراثها الإبداعي (**الثقافة**) وطابع حياتها (**الواقع الإجتماعي**) بالإضافة إلى الشفرة تتجلى الهويّة ، كذلك من خلال تعبيرات خارجية شائعة مثل الرموز ، الألحان ، والعادات التي تنحصر قيمتها في أنّها عناصر معلقة إتجاه الجماعات الأخرى ، وهي أيضًا التي تميّز أصحاب هويّة ما مشتركة عن سائر الهويّات الأخرى " [1] .

إنّ الهويّة بهذا المفهوم تعدّ شيئًا مركباً ومتداخلاً في آن واحد ، فهي تمثل الماضي والحاضر معاً من خلال ما تورثه الجماعة أو الأمّة من : بطولات ، وأمجاد ، واستثمارات ، وإبداعات ، وغيرها من القيّم و السلوكات ، أو ما يعرف بالتاريخ ؛ أي تاريخ الجماعة البشرية في زمان ومكان معينين ، أمّا الحاضر فهو يمثل النشاط الإنساني الذي يعبّر عن الطموح والرغبة في العيش ، وهذا ما تبرزه جملة الأنشطة الإجتماعية المختلفة التي تعبّر عن الخصوصيّة ، و التّفرد ، والتميّز عن الآخرين .

وهنا يمكن أن نقدم مفهوماً للهويّة العربية فنقول :أنّها جملة الصفات والخصائص التي تمثل القاسم المشترك بين جميع العرب والمسلمين ، وتميّزهم عن الآخرين في عقيدتهم ، ولغتهم ، وعاداتهم وقيمتهم وحتى وعيّهم بحاضرهم ومستقبلهم .

ونقول هذا لأنّ النظرة الصحيحة لهويتنا تتطلب التخلي عن المواقف الساكنة التي لا تتماشى ومتطلبات العصر التي من شأنّها أن تقوي هويتنا أكثر ، فالهويّة القوميّة كما فهمناها لا يمكن أن تكون تراثًا ، وماضيًا ، وبطولات الأجداد فقط ، ولا في سحق الماضي والإنتماء في فلك العصرنة.

[1] رشاد عبد الله الشامي ، إشكالية الهوية في إسرائيل ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم 224 ، ص 07.

بعدما تعرّفنا على مفهوم الهوية ، وقلنا بأنّها كل ما يمثل العرب المسلمين ، ويميّزهم عن غيرهم من الشعوب والأقوام والأجناس صار لازماً علينا أن نقف عند المقومات .

المقوّمات والأسس التي تقوم عليها هذه الهويّة :" الدّين – العروبة "

باعتبار الدّين والعروبة من مقوّمات الهويّة ، لأنّ الحديث عن الهويّة العربية يحيلنا بالضرورة إلى هذين العنصرين ، لكن نحن لا نريد أن نقدّم الإسلام والعروبة كمضامين جاهزة ، ولكن على العكس من ذلك نريد أن ننبّه إلى الإشكاليّة القائمة بينهما ، حين تطرح مسألة الإسلام والعروبّة عدّة إشكاليات من طرف التيارات الفكرية المنتشرة هنا وهناك في الحديث عن الإسلام والعروبة ؛ بل هو الحديث عن العلاقة بينهما ، ففي الوطن العربي طائفتان إختلفتا ، فإتفقتا ، طائفة تناهض الإسلام بالعروبة ، وطائفة تناهض العروبة بالإسلام فهما مختلفتان ، وتجهل كلتاهما العروبة والإسلام ، فهما مثقفتان والصيغة الصريحة التي يثار بها المشكل وراء ثنائية العروبة والإسلام هي : أيهما يجب أن يكون المحدد الأول والأساسي لهويّة سكان المنطقة العربية والإسلامية في الوقت نفسه العروبة أم الإسلام ؟ هل العربة أولاً ، أم العكس الإسلام أولاً ، أم كلاهما معا ؟ " في قول عصمت سيف الدّولة "[1] .

لقد تحدّث عن هذه الإشكالية في الفكر العربي الكثير من المفكرين وحاولوا من خلال دراستهم إبراز الصراع القائم بين القوميين والإسلاميين ، وحاولوا من خلال هذه المسألة التي هي فعلاً تستحق النظر لأنّها أصبحت تشكل في حدّ ذاتها خطراً على هويّة شعوب المنطقة .

وهنا نجد " محمد عمارة " يتحدث في كتابه " الإسلام والعروبة والعلمانيّة " عن هذه الإشكالية ؛ حيث يؤّكد منذ البداية " أنّ الإسلام وقف مع العروبة ومع السمات التي أخذت تشدّ

[1] عصمت سيف الدولة ، عن العروبة والإسلام ، دار البراق ، الطبعة الثالثة .

الجماعة البشريّة العربية إلى حيث الطريق المؤدي إلى اِمتلاكها ، قسمات القوميّة العربيّة الواحدة ، كما أنّ الإسلام جعل للعرب مكانة متميّزة في التاريخ " [1].

يذكر محمد عمارة : هذه الحقيقة حيث يقول :" ولقد بدأت هذه الحقيقة عندما ظهرت آثار السيطرة العسكرية المملوكية التركيّة التي لجأت إليها الخلافة العباسيّة كي تكون أداة الخلافة ، فلما تمّت واتّضحت حولت الخلافة إلى أداة ، كما وفي هذه الحقيقة لم يبقى للأمّة من الإسلام سوى الشكل والرسوم والطقوس " .

هذه الدلالة صريحة على أنّ أحد سمات الهويّة العربية الإسلامية أصبحت هشّة بفعل الضعف الذي عرفه الإسلام مدين وعقيدة ؛ بمعنى أنّه لم يبقى الإسلام قوّة روحيّة بالشكل الذي كان لدى العرب المسلمين في القرون الأولى ؛ حيث تحولت العبادات إلى طقوس خالية من أهدافها الساميّة لدى الكثيرين ، حتى في إطار العمل والممارسة والسلوكات لم يعد للإسلام وجه يظهر به بالشكل الذي كان عليه في السابق ، لكن هناك أمر مهم جداً لابدّ أن نؤكّد عليه ونحن نتحدث عن الإسلام ، وهو ضرورة فهم نوع الذي نتحدث عنه ، لأنّ الإسلام عندما نتحدث عنه وموقفه من العروبة والوحدة وغيرها من المفاهيم لابدّ أن نشير كما يذكر " محمد عمارة " إلى الإسلام الدّين وإسلام الحضارة ، وإسلام التاريخ .

الأول يتمثل في النص القرآني والسنة النبوية التي جاءت مفصلة وشارحة لعموم النّص القرآني المقدّس " فالإسلام الدّين يمثله مصدران أساسيان هما القرآن والسنة ، وهناك الإسلام والحضارة ، ويتمثل هذا الأخير في تجارب المسلمين العقلية والواقعيّة بداية من تأسيس المسلمين لدولتهم ؛ أي دولة المدينة التي كانت بيعة العقبة تأسيسًا لها " ، فالدّولة كمؤسسة سياسية تنظم

[1] محمد عمارة ، الإسلام والعروبة والعلمانية ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1981م ، ص 18.

شؤون المجتمع ليست من إختصاص الإسلام الدّين ، ولا هدفاً من أهدافه ؛ بل هي من إختصاص الإسلام الحضارة ، لأنّها إجتهاد عقلي هدفه النظام والتحضر في تسيير شؤون الأمّة .

وفي ظلّ هذه الدّولة أقصد الدولة الإسلامية وعلى مر التاريخ تبلورت الحضارة الإسلامية في المحيط العربي ، وأصبحت تعرف بالحضارة العربية الإسلاميّة [1] .

الثاني الإسلام التاريخ ويمس كذلك لأنّ المسلمين عاشوا في ظله بعد الجود والركود والتّخلف الذي عرفته حضارتهم وأصبحت بالتحديد منذ سيطرة الجند الترك المماليك في الدولة العباسيّة منذ إغتيال الخليفة العباسي المتوكل " 232-247هـ " – " 847-861" لذا ندرك أنّ المشكل الإسلامي والعروبة ، وعلاقة الصراع بينهما تولّدت بينهما ، كانت بدايتها الحقيقية مع الإسلام التاريخ وهي المرحلة الحرجة في تاريخ العرب المسلمين ؛ حيث أصبح واقعهم متردياً على الأصعدة جميعها ، ونجد الجابري يتحدث عن هذا الصراع الفكري الذي عرفته الثقافة العربية من خلال أصحاب الإيديولوجيات والتوجهات الفكرية والعقائدية المنتشرة هنا وهناك ليؤكّد أنّ الثنائية العروبة والإسلام في الخطاب العربي المعاصر من المسائل لتي يدور حولها نقاش كبير ، لأنّ كل طرف في نظره يتحدث عن العروبة وعن الإسلام من داخل مرجعيته الخاصة .

والآن علينا أن نقف على مفهوم الإسلام في المرجعيتين التراثية والنهضوية معاً حتى يتسنى الفهم الحقيقي للإشكالية التي أثيرت حول ثنائية العروبة والإسلام .

ومن هذا المنطلق نجد الجابري يؤكّد أنّه إذا كان المضمون الذي يحله مفهوماً " العرب " و " العروبة" يختلف باختلاف المرجعيّة المعتمدة ، فكذلك الأمر بالنسبة للإسلام لذلك يجب التّعرف

[1] محمد عمارة ، الإسلام والعروبة والعلمانية ، ص 18.

على حقيقة هذا الأمر ، وبالتالي الرجوع مرة ثانية إلى مرجعيتين نفسيهما كمساءلتهما عن الكيفية التي يتحدد بها مفهوم الإسلام [1].

ولعلّ السبق التاريخي يجعلنا نبدأ بالمرجعيّة التراثية ، فالإسلام في هذه المرجعية من حيث اللغة معناه الإنقياد ، وفي بداية الدعوة المحمديّة إنصرف معنى الكلمة إلى الإنقياد لله عزّ وجلّ وحده ، والقرآن الكريم يفيد هذا المعنى في قوله تعالى : **(وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)**[2].

ومع إنتشار الرسالة المحمديّة وإنطلاق الفتوحات والغزوات لقتال الكفار والمشركين وكل من إمتنع عن الإنقياد لله وحده ، أصبح الإسلام يعني إظهار الخضوع وإلتزام ما جاء به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبالتالي أصبح الكفار أمام خيارين إمّا إعلان الإسلام ، وإمّا اعتبارهم أعداء يتولاهم المولى تعالى في محكم تنزيله بقوله : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ)** [3] ، وكلمة إظهار الإسلام تفيد بأن الإسلام مسألة شخصيّة تخص الفرد وسلوكه الظّاهري هذا من جهة ، ومن جهة ثانية نفهم بأنّ الإسلام لم يدخل في علاقة صراع مع أي طرف ما عدا الكفر ، وعدم الخضوع لله تعالى ، فهو لم يكن ضدّ اليهوديّة أو المسيحيّة لكن كان يختلف معهما ، العلاقة بين الإسلام والمسيحية واليهوديّة هي علاقة مغايرة ، وليست علاقة ضديّة ، فالإسلام في المرجعيّة التراثيّة لم يطرح نفسه كضدّ لأحد إلاّ الكفر .

وإذا ذهبنا إلى المرجعية النهضوية و سألنا أصحابها عن المعنى الذي يأخذه مفهوم الإسلام لديهم نجد أنفسنا في رأي الجابري أننا أمام ثلاثة استعمالات للكلمة .

---

[1] محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب ، مركز دراسات ، بيروت ، لبنان ، ط03، 2006م ص42.

[2] سورة النساء ، الآية 125.

[3] سورة التوبة ، الآية 123.

– **الإستعمال الأول :** هو الإسلام النموذج والمثال ، والصورة المثاليّة التي يجب أن يكون عليها الإسلام ، وهذا ما تحقق في عهد النبوّة ، وبدرجة أقل في عهد الخلفاء الراشدين ، وهذه الصورة التي يقدّمها التيار السلفي .

– **الإستعمال الثاني :** هو الإسلام التاريخي ويتمثل في الفترة التاريخية التي كانت بعد عصر الخلفاء والتابعين ، وفيها جملة الممارسات التي لم تكن في مستوى الشعائر والعبادات والسلوكات التي كان عليها جبل الإسلام النموذج لأسباب كثيرة وبالخصوص الصراعات السياسية .

– **الإستعمال الثالث :** فهو الإسلام بالمعنى الإستشراقي للكلمة ، ويعرف بالإسلام الحضارة ، وهو يمثل جملة من العلوم والفنون والآداب وغيرها من مراكز العلم الرئيسية مثل : الشام ، بغداد ، مصر...

من خلال هذه الإستعمالات التي ذكرنا يؤكد الجابري على أنّه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون الإسلام أمام علاقة تقابل مع العروبة [1].

وإنّ وجهة نظر الجابري تبدو واضحة حول مقوّمات الهويّة ومختلف أشكال الصراع القائم بين القوميين والإسلاميين ، فهو يريد أن يصل إلى الحقيقة ، وهي ضرورة مد جسر التواصل بين الأطراف المتصارعة ، ومد هذا الجسر لا يكون في نظره إلاّ بوسيلة واحدة هي الحوار العقلاني الذي من شأنه أن يزيل كل التشجنات والعرقيات ، وسوء الفهم الحاصل بين كل طرف سواء في المرجعية الواحدة أم بين المرجعيات المختلفة ، وعليه تصبح مقوّمات الهويّة بالإضافة إلى الدّين واللغة قسمان مثل الثقافة ، التاريخ ، الفلسفة ، والمصير المشترك ووحدة الأرض ، والمصالح المشتركة التي من شأنها أن تضمن الهويّة قوتها ومكانتها .

[1] محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب ، ص 49.

ومن قراءتنا لكل ما سبق التطرق إليه يمكن أن نقول : إنّ مقوّمات الهويّة غنيّة ومتشابكة يتعايش فيها **الدين** مع **اللغة** والتاريخ والمصير المشترك والمصالح التي تقتضيها حياة جميع شعوب المنطقة ، وعليه الهويّة هي بمثابة وعاء تنصهر فيه جميع هذه القسمات التي يشترك فيها كل عنصر بشري ينتمي إلى هذه الأمّة .

الهوية والشخصيّة والسيادة ألفاظ وعناوين نرددها كثيرًا في المجالين السياسي والثقافي ، ولكن الدلالات التي تعطى لها تختلف من فئة لأخرى بحسب التكوين الإيديولوجي والثقافي الذي يطبع تفكير المستعملين لها ، فالمعاني التي يعطيها البعض لهذه الألفاظ لا تصير تعبيراً صادقاً عن المعاني الموضوعة لها في الأصل .

تشتمل العناصر التي يتضمنها التحديد اللغوي أو الفلسفي أو القانوني والسياسي لهذه الكلمات ، وإنّما هي دلالات تتضمن تأويلات المتكلمين وقناعاتهم الخاصة التي يحددها المزاج و الإتجاه الثقافي الذي يتكلمه المتكلم في مثل هذه الإستعمالات .

– **الهويّة والشخصيّة والسيادة :** مصطلحات نلاحظ تداولها في المجالين السياسي والثقافي ، ولكن تختلف معانيها من فئة لأخرى حسب تفكير المستعملين لأنّها أحياناً لا تثير لمعانيها الأصلية ، وإنّما هي إيحاءات تحتوي على قناعة المتكلم التي تعتمد على المزاج [1].

– المواطنة La citoyante :

يعدّ مفهوم المواطنة ومبدؤها من المبادئ التي استفزّت الفكر السياسي المعاصر ، وهو مفهوم تاريخي شامل ومعقّد له أبعاداً عديدة ومتنوعة منها ما هو مادي قانوني ، ومنها ما هو ثقافي ، ومنها سلوكي ، ومنه ما هو وسيلة أو غاية يمكن بلوغها تدريجياً ، ومن هنا فإنّ الموطنة كانت محل جدل ، ونقطة استفزاز للفكر السياسي ، وذلك كونها معقدة ذات أبعاد متعددة " قانوني ، ثقافي

[1] عبد القادر فضيل،اللغة ومعركة الهوية في الجزائر ، ص20.

، سلوكي " ، ومنها ما هو اجتماعي ينادي بالإستقرار والسلم الاجتماعي من أجل المساواة أمام القانون بين ما يعتبرهم النظام السياسي متساويين ، وهذا أساس الموطنة " و يؤّكد الأستاذ خليفة الكواوي بأنّ هناك تحولات كبرى متداخلة مرت بها التغيرات السياسية التي أرست مبادئ المواطنة أولها الدولة القوميّة ، والمشاركة السياسية ، وتداول السلطة ، وإرساء حكم القانون ، وإقامة دولة المؤسسات ، وتشير دائرة المعارف البريطانية إلى المواطنة بأنّها علاقة بين الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة ، وبها تتضمن تلك العلاقة من واجبات وحقوق الدولة .

كانت التحولات التي مرّت بها التغيرات السياسية في إرساء مبادئ المواطنة التي تتجلى من خلال علاقة الفرد بالدّولة حسب ما يحدده قانون الدّولة وما يقتضيه من حقوق وواجبات [1] .

المبحث الثالث: علاقة اللغة بالهوية

تتخذ اللغة أبعادا مختلفة و الهوية تتميز بحضورها و بمكانتها البارزة على الصعيد الفردي أو الإجتماعي على حد سواء فهي بدورها تعبر عن الانسجام الحاصل بين أفراد المجتمع و من هنا نستنتج أنه لدينا علاقة ذات طابع إشكالي بين اللغة و الهوية في ما يتعلق بالتعدد اللغوي عند الفرد أو الممجتمع المتميز بأكثر من لغة و هذا ما يطرح لدينا التساؤل التالي هل يمكن أن نحقق إنسجام مجتمعي و وعي حضاري بواسطة التعدد اللغوي؟

يفرض علينا الواقع الانساني التعدد اللغوي من عدة منطلقات التنوع الاجتماعي الذي يدخل في ثناياه تنوع الأركان و المقومات و هذا ما يخلق اختلاف في الهويات و هذا ما ظهر جليا في قوله تعالى:(**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**) سورة الروم الآية 22.

[1] موسوعة علم السياسة ، ص 341.

التعدد اللغوي و البناء الحضاري: حسب تعريف إدوارد تايلر 1971 "من خلال الكل المركب الذي يشمل العلوم ، الدين ، اللغة العادات و التقاليد1932القانون و كل المقدرات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"[1]

فالوعي الحضاري يرتبط إرتباط وثيقا بالإنسان و بصفته الإجتماعية فالسمات الحضارية تعبر عن حالة التطور و التقدم الإجتماعي فاللغة هي المنبر الذي تعبر من خلاله الحضارة و تروج لنفسها بأشكالها المكتوبة المرئية و المسموعة فاللغة لا تنفصل عن مستخدميها فقوة

إذا أردنا الغوص في حدود العلاقة بين اللغة و الهوية فإنه لا يمكننا الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية، لأن اللغة تحمل هموم متكلميها و تنظم سلوكهم و تفاعلهم و توحد إنتمائهم، فقيمة اللغة إذا ليست في طبيعتها و لا تقع في أساس مكوناتها الداخلية، إنما في صفة 0000 الناس بها و اعترفوا بها فهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه، و تعكس انطباعاتهم، و تلقيهم الأحداث التي يمرون بها[2]

و من هنا إذا أردنا الحفاظ على هويتنا يجب علينا الحفاظ على اللغة بالمقابل فالعلاقة بين اللغة و الهوية 000 علاقة جدلية بين الغالب و المغلوب و هذا يظهر جليا في غلبة اللغة الأجنبية على اللغة الأم بعد محاربتها و إضعافها، و هذا ما جعلها تتراجع و تهتم بقصورها عوضا من محاربة مناقشتها في مواكبة العصر و علومه بعد أن كانت في أرقى ملامحها في الحضارة الإسلامية، فقوة اللغة من قوة مستخدميها و قوة هويتها فالعلاقة تبقى متينة بين لغة التعلم و لسان الهوية، و هذا ما جعلها أمام المواجهة هيمنة لغا الأمم ذات الرقي الحضاري.

---

[1]- **dogtcheva. Milena (2005) le multruculturalisme.ediction la decouverte- paris. P100.**

[2]- اللغة العربية القيمة و الهوية، حسان بركة، مجلة العربي، العدد 528 نوفمبر 2002، ص 86.

و تبقى العلاقة بين اللغة و التعليم علاقة تأمل باعتبار التعليم محرك التنمية و التطور و هناك تلاحم بين اللغة و الهوية لدرجة أنهما يصبحان شيء واحد و لهذا يبقى الخطر الأساسي الذي يهدد الهوية هو تراجع مكانة اللغة العربية في مجتمع المعرفة

-لعبت اللغة دور اساسي ريادي في التوسع الإمبريالي فكانت اللغة تستخدم كسلاح لفهم لغة المستعمر ، إذابتها , ولهذا سعي المستعمر السيطرة على اللغة والتخلل بين البلاد وغرض الميمنة على المجتمعات فإن اللغة هوية وليس الهوية لغة

فاللغة من أهم مقومات الهوية ومن هنا نستنج أن العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخاص بالعام . فالهوية أهم من اللغة وأوسع منها واللغة تنطوي ضمن الهوية (لأن الهوية لها تجليات عديدة غير اللغة إذا أنّها ببساطة ليست سوى تلك القواسم المشتركة أو القدر المتفق عليه بين مجموعة من الناس , ذلك يميزهم ويوّحدهم وليست اللغة وحدها التي تقول بهذه المهمة وهذا يعيدنا إلى المقاومات الأخرى للهوية) [1].

- فاللغة هي ذلك الحبل الرابط بين الحضارات فلولا وجود اللغة لبقيت الحضارة منغلقة قارة ساكنة تتصف بالجمود فهي التي تخلد الأمم فالثقافات تتلاقح وتتواصل باللغات مما يجعل اللغة تهيمن على أخرى، ومن هنا تكمن هيمنة اللغة فاللغة تعبر عن القوة وهذا ما يجعل الضعيف يتبع القوي ويحاول تقليده من ناحية لغوية "الثقافية والسلوكية"

- وهذا مايظهر حاليا شبابنا في المحاولة تقليدهم للعرب ومحاولة إتباع طرقهم المعيشية اللباس والسلوك وغيرها فحينما الدولة الإسلامية قوية وسيطرة شاع اللسان العربي وتوفق على غيره إلا أنه لم يحافظ على مكانته مع دخول العجم

[1] ينظر: فيصل الحفيان اللغة والهوية وإشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقات

– قال عبد الرحمن بودرع (علاقة الهوية باللغة علاقة جديدة تفاعلية غذا ليست اللغة أداة التعبير فحسب ولا وسيلة للتواصل بين الافراد ولا شأن من الشؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنة والإستقرار الإجتماعي والنفسي حيث أن اللغة مؤلف رئيس من مؤلفات الهوية في كل بلد , أو وطن أو امة بل الهوية مفهوم ذو دلالة لغوية إجتماعية وثقافية يعني إحساس للإنتماء إلى أركان الهوية التي هي الدين . الثقافة . الإجتماعي .

–أما اللغة فهي الناطق الرسمي بلسان الهوية ووسيلة إدراك العالم)[1]

(إذا أردنا الحديث عن اللغة تجد انفسنا نتحدث عن الهوية فتيمة الهوية إذا ليس في طبيعتها ولا تقع في أساس مكونتها الداخلية وإنا هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميزها الناس بها وتفاهم على الإعتراف بما إعتبارها فيها دون سواها وهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها [2])

اللغة تعتبر قوة مستخدميها وقوة تأثيرها على مختلف المستويات الثقافية والسياسية والإجتماعية فهي تعد أداة إبداع والمنجزات العلمية وهذا ماحتم على المجتمعات ذات التطلع الحضاري المعفة باللغت التي تتم بها الإنجازات العلمية

– يعدد التعدد اللغوي وسيلة للعبور إلى الاخر والإستفادة من اجازاته الحضارية وبالمقابل تتقلص الرغبة في المعرفة باللغات خارج السياق المدرسي في المجتمعات المركزة التي ترى »إن بناء الحضارة يكون على أساس ينطلق من قدرة المجتمع على إنشاء لغة كشرط أولي للعمل الجماعي إذ

[1] بسام بركة فايز السياغ وأخرون , اللغة والهوية في الوطن العربي التعليم والترجمة والمصطلح ص 82

[2] اللغة العربية القيمة والهوية بركة مجلة العربي العدد نوفمبر 2002 ص 86

أن القدرة على الإتصال بين فاعلين إجتماعيين أكثر أولية وأهمية للفعل الحضاري من عمل الألات[1]

– تقول عن الدولة ما أنها متعددة اللغة حينا يتم التكلم فيها بلغتين مختلفتين على الأقل عن شخصا ما أنه متعدد اللغات عندما يكون بإمكانه التعبير عن حاجياتها وتواصل مع غيره باحث من لغة ويمكن إذًا لمصطلح التعدد اللغوي **multlingussne** أن يحيل إلى اِستعمال اللغة أو قدرة الفرد أو على الوضعية اللغوية أو المجتمع أمة كاملة " [2].

يتولى ابن خلدون "ولّما تملك العجم وصار له الملك والإشتراك على جميع المماليك الإسلامية عند لسان العربي لذلك لولا ماحفظه من عناية .... بالكتاب والسنة "[3]

– ومن أبرز الأسباب التي جعلت اللغة العربية تحظى بمكانة عالية لدى العرب المسلمين أنّها لغة سامية لأنّها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) "سورة الشعراء .

ومن هذا ذهب العرب إلى ضرورة هرقة اللغة العربية وودراستها وجعلوا هذا فرض عين على كل مسلم ومسلمة – عن عمر رضي الله عنه أنّه قال"لايقرأ القرأن إلا عالم اللغة "وأضاف السيوطي مزهره (أن مما لا يشك فيه ان علم اللغة من الدين تعرف معاني ألفاظ القرأن والسنة النبوية)[4]

---

[1] اويس م.م 2003 اللغة في المجتمع .تر. حسان تمام . منشورات عالم الكتب القاهرة . ص 154

[2] ينظر ما يكل كلين التعدد اللغوي ضمن كتاب دليل السوسيو لسانيات تحرير فلوريان كولماس ترجمة خالد أشهب ومجلودين النهيبي مراجعة ميشال زكرياء مركز دراسات الوحدة العربية

[3] ابن خلدون، المقدمة التونسية 1984-1/457

[4] السيوطي جلال الدين، المزمر في علوم اللغة ت: فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية بيروت 475/1

من خلال ماسبق ذكر نجد أنّ العلاقة بين اللغة والدين واللغة من جمة والهوية من جمة أخرى علاقة وثيقة لا يمكن الفصل بينها بأي شكل من الأشكال فمصدر الهوية عربي مسلم دينه وثقافته وهذا بحد ذاته يعد سلاح للتأثير بالآخر ومواجهة هجماته في ظل العولمة .

ولهذا يتوجب الإهتمام باللغة العربية وجعلها أداة فاعلة في نشر التعليم والفكر والثقافة العربية الإسلامية .

أخذ موضوع اللغة والهوية أهمية كبيرة في تمثيل حقيقة الوجود الإنساني وطبيعته ، فبالرغم كم كثرة الدراسات به إلاّ أنّه لا تزال تسعى للوصول إلى مقاربات علمية بمضامينه ومظاهره خاصة أنّ منهجيات العلوم التي تستند إليها كل ذات مواضيع تلتقي لتفترق ، وتشترك لتختلف ، ويزداد الأمر تعقيداً حين يصبح الإنسان الدارس لهذه القضية هو موضوع الدراسة نفسها وتصبح وسيلة تحليل نفسها .

الفصل الثاني

المثاقفة

المبحث الأول : مفهوم الثقافة لغة واصصطلاحا

المبحث الثاني : الترجمة مفهومها لغة واصطلاحاً .

المبحث الثالث : مفهوم العولمة لغة واصطلاحا

المبحث الأول : مفهوم المثاقفة لغة وإصطلاحا

تمهيد : من خلال دراسة التطورات الناتجة عن إتّصال الثقافات التي تتأثر وتؤثر إحداهما بالأخرى ، وقد أصبحت المثاقفة مع الآخر أمراً حتمياً تفرضه طبيعة الحياة الحاضرة القائمة على التقارب والتحاور بين الشعوب والحضارات ووسيلتها في ذلك الترجمة ، وتتمثل شروط المثاقفة في الإعتراف بواقع لتنوع الثقافي .

– مفهوم الثقافة لغة :

" قالوا ثَقَفَ الشيء ، وثَقفَ الرجل ، ثقافة ؛ أي صار حذِقًا " [1] .

" والثقافة العمل بالسيف " [2] ، وثُقُفَ ثَقْفًا من الفطنة ؛ أي صار فطنًا " [3] .

" والثقافة **Culture** تعني كل ما فيه استثارة للذهن ، وتهذيب للذوق ، وسمو العقل ، والحكم لدى الفرد في المجتمع " [4] .

وهي الإطلاع والإستكشاف وحب المعرفة في شتى سبل الحياة ، قال ابن فارس :" ثقف " الفاء والقاف والثاء كلمة واحدة ، إليها ترجع الفروع ، وهو إقامة درء الشيء .

ويقال ثَقَفْت الفتاة ، إذا أقمت عوجها .

" ورجل ثَقِفَ ثُقْفٌ ، وذلك أن يصيب علم ما سبق على استواء " [5] ، قال الله تعالى :(**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) [الأنفال 57].

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ج01، باب حرف الثاء ، ص 614، 615.

[2] لويس معلوف ، المنجز في اللغة ، انتشارات فرحات ، ط35 ، طهران ، ص 71.

[3] عبد الله العلايلي ، مختار الصحاح في اللغة والعلوم ، ط4، دار الحضارة ، بيروت ، 1974 ، ص 151.

[4] المصدر السابق ، ص 151

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 19 " بتصرف " .

وعند ابن منظور " ثقف " ثقف الشيء ثقفاً وثِقافاً ، وثقوفة : حذقة ، ورجل ثقف ، وثَقُفَ وثَقِفَ حاذق ، فهم ، وأتبعوه ، فقالوا : ثقف لثقف ، ابن دريد : ثقفت الشيء حذقته ، وثقفه إذا ظفرت به " [1] .

مفهوم الثقافة إصطلاحاً :

" يقال أنّ كلمة **Culture** وهي واحدة من كلمتين ، أو ثلاث يكتنفها التعقيد ، فلا يفوقها سوى كلمة **Nature** الطبيعيّة التي تعدّ الأعقد ، وبالرغم من شيوع النظر إلى الطبيعية على أنّها مشتقة من الثقافة " [2].

ونظراً لتعقيدها لم يتفق الباحثين والعلماء لحد الآن على تعريف واحد لها ، فقد تعددت تعاريفها ومعانيها حتى وصلت عام 1952 إلى مائة وواحد وستين تعريفاً لكلمة ثقافة كما يوردها عالم الإنسان ألفريد كوبر **Alfred Kober** " [3].

وراح مصطلح ثقافة يأخذ أبعاداً مختلفة و تعاريف متعددة ، وعبر تاريخ طويل ينقل أكثر الذين كتبوا عن الثقافة بأنّ تايلو **Taylor** هو أوّل من كتب وعرّف الثقافة ، بيد أنّ الباحث قد وجد في كتابات دارسي الأنثروبولوجيا ، بأنّ تايلور يتوقف عند مصطلح الحضارة في كتابات نشرت له عام 1971 بأنّها " ذلك الكم المعقد الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيّم ، والقوانين والعادات والإمكانيات ، أو عادات يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع"[4].

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 19.

[2] تيري إغلتون ، الثقافة في طبعاتها المختلفة ، ترجمة ثائر الأديب ، مجلة الكرمل ، العدد 02، بيروت 2000، ص 09.

[3] د. نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسة عالم المعرفة ، العدد 03، الكويت ، 1985 ، ص 06.

[4] لويس مبرو ، مقدمة في الأنثروبولوجيات الاجتماعية ، ترجمة : شاكر مصطفى سليم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1983 ، ص 17.

ومن معانيها :

أ- وجود الشيء ومصادفته : قال حسان ابن ثابت :" فلما تثقفت بنو لؤي جذيمة إنّ قتلهم شفاء" [1] ؛ أي إذا صادفت بنو لؤي جذيمة عليهم قتلهم ، ففي قتلهم راحة وخير .

ويقال ثَقِفْتُ الشيء ؛ أي وجدته وصادفته .

ب- الظفر بالشيء وأخذه على وجه الغلبة ؛ أي الأخذ بقوة ، يقال:" ثقفت فلاناً في موضع كذا " [2] ، قال الله عزّ وجلّ :**(إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء)**[]؛ أي إذا تغلبوا عليكم فهم أعدائكم ، وهنا قصد بها القتل في المعارك .

ج- الإتقان والحذق : قال ابن منظور :" ثقف الرجل ثقافة " [3]؛ أي صار حذقاً .

د- الفهم والذكاء : قال ابن منظور :" ثقف الشيء ثقفاً وثِقَافًا " ، و" هو غلام ثقف ، أثقف "[4]

؛ أي ذو فطنة وذكاء ، وثبات التفكير .

هـ- سرعة البديهة والتّصور في الأذهان : يقال :" فلان ثقف ، أثقف ؛ أي سريعة البديهة.

قال ابن منظور :" يقال ثقف الشيء ، وهو سرعة التّعلم " [5] .

خلق الإنسان الثقافة بوصفها نتاجاً متميّزاً يخصه ، مع إضافة عناصر بشرية وإدخال أشياء إجتماعيّة إلى الوجود الطبيعي ، ذلك أنّ كل إضافة إنسانيّة هي ثقافة .

---

[1] ديوان حسان ابن ثابت ، قافية الألف ، طبعة أنجب ، الجزء ال,ل ، كلكتا 1931 .

[2] محمد ابن عبد الكريم الجزائري ، الثقافة ومآسي رجالها ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1978 ، ص 09

[3] ديوان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف 1119 ، كورنيش النيل ، القاهرة ، ج م ع ، .

[4] محمد ابن عبد الكريم الجزائري ، الثقافة ومآسي رجالها ، ص10.

[5] المرجع نفسه، ص11

" إنّ هذا النتاج فقد فتح مجالاً وسعاً لإختلاف الآراء حوله بشأن تحديد مفهوم " الثقافة " وتعريفها اللذين يختلفان داخل البلد الواحد ومن بلد إلى آخر ، فالناس يقطنون في مجتمعات بشرية تختلف مستويات تنظيمها ويشترك أفرادها في ممارسة عدد من أنماط السلوك المكتسب ، والمعبّر عن سلوك التفكير والطريقة المعيشية الخاصة بالمجتمع تحت لواء " ثقافة " متميّزة ، وبالرغم من تمتع أفرادها بأبنيّة جسميّة متشابهة في جوهرها من حيث بعدها الفيزيولوجي وميكانيزماتها النفسيّة ، إلاّ أننا نسّجل تنوعاً ملحوظاً في أنماط السلوك " [1].

ومن هنا وجب إيجاد لفظ مناسب للدلالة على سلوكات الإنسان وأساليبه المكتسبة من خلال التّعلم والإحتكاك الذي يتجلى في تواصله الإجتماعي مع الآخر بإختلاف مستوياته وطرق تفكيره ، فلكل مجتمع سمات تميّزه عن غيره وهذا ما يخلق تنوعاً عرقيًا دينياً ، معيشيًا ، ثقافيًا ، وهذا التلاقح ينتج لنا تطور وتنوع في أساليب الحياة والسلوكات لدى أفراد المجتمع .

" وتبرز هنا الحاجة إلى معرفة العلاقة بين الإنسان والثقافة التي يتعرض إليها دارسوا الأنثروبولوجيا الثقافية **Culture Anthropologie** التي تعنى بدراسة الإنسان أصله ، نشأته ، وتطوره ، ودراسة المجتمعات والثقافات المتعددة بين البشر " [2] .

– تكمن أهمية الثقافة في إنفتاح الشعوب بعضها على بعض ، وهذا الانفتاح يتم وفق وسيلة وهي الترجمة ، فالترجمة هنا هي الطريق وهي الخط الواصل بين الثقافات .

والترجمة هي المفتاح الذي يفتح أمامنا الثقافات الأخرى ، وينقل إلينا رؤى جديدة خاصة بكل ثقافة.

[1] قباري قطب ، محمد إسماعيل ، علم الإنسان ، منشأة المعارف الإسكندرية ، دار بوسعيد للطباعة ، 1982 ، ص 15.

[2]. عاطف وضعي ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة للنشر ، 0 ط01، ص 14.

" ولنا في الحوار بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية على مر التاريخ شاهداً على دور الترجمة في هذا التلاقح والتواصل في ضوء الاعتراف بالتنوع ، فالحضارة العربية الإسلاميّة في لحظة من لحظات بناء صرحها الكبير لم تتقوقع على نفسها ؛ بل حاولت في إطار المثاقفة وعبر حركية الترجمة أن تتفاعل مع الحضارات الأخرى وأن تغترف من منابعها في ميادين الفلسفة والمنطق ، والأدب والنقد ، والفلك والهندسة والكيمياء والطب وغيرها من المجالات ، وعلقت على دراستها وتفسيرها وتمثلاتها والتعليق عليها وشرحها وتصحيح بعض ما ورد فيها ، وأضافت إليها كثيراً من الحقائق والإكتشافات وأسست في ضوء ذلك علوماً جديدة ، ظلّت مصدر العلم والمعرفة في العالم كله لقرون طويلة " [1] .

فالترجمة تطمح إلى خلق ثقافة المثاقفة ، وتسعى إلى أن تحقق التعددية وإرجاعها إلى وحدة .

هناك تعريفات عديدة لمصطلح المثاقفة منها المتشابه و المختلف ، ولعلّ تعريف موسوعة ويكيبيديا **Wikipidia** تقربنا كثيراً من المعنى المنشود للمثاقفة ؛ حيث هي :

– اكتساب المعلومات ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية ،وذلك من وجهة نظر مستقبل تلك الثقافة ، حيث تضاف الثقافة الجديدة إلى أو تختلط بثقافة الفرد أو الجماعة المكتسبة محلياً منذ الميلاد" [2] .

– ومن هنا فإنّ المثاقفة تساهم في تفتح الفرد على الثقافات الأخرى مما يساهم في التفتح على الجماعات البشريّة ، والقضاء على الجهل والإنغلاق من خلال الإختلاط والإحتكاك بالآخر ، مُشَكِّلة بذلك ألواناً مختلفة من الثقافات والرؤى .

---

[1] محمود اسماعيل عمار ، معايير متقدمة حول الترجمة في النقد القديم ، مجلة علامات في النقد ، جزء 48، مجلد 12، يونيو 2003، ص 81.

[2] جمال نجيب التلاوي ، ترجمة د.ماهر مهدي ، حنان الشريف ، المثاقفة عبر الصور والبيوت ، دراسة عبر حضارية ، دار الهدى للنشر ، ط01، 2005م ، ص 6.

" ويبدو أنّ التثاقف **Aculturation** فعل محايد من التعرف والتواصل إطار نسبيّة ثقافيّة الهدف تفادي الخلافات التي قد تنجر عن الجهل المتبادل مما يؤدي إلى صراعات فكريّة أو مواجهات بين الجماعات البشريّة ".

فالتعارف والتواصل وسيلتان أساسيتان في عملية التثاقف فهما تعتبران البوابة التي تفتح أمام الفرد لعرفة الآخر ، والأخذ والعطاء المتبادل بين المجتمعات لخلق رؤى وطرق معيشية ، وفكر منفتح يقبل الآخر بقيّمه وتقاليده وسلوكاته " [1].

" **والمثاقفة في الأصل هي** : تفاعل خياري طوعي لا يتم ، ولا تجنى ثماره إلاّ برغبة تبادليّة بين المتثاقفين ، ولا يمكن أن تحقق أبداً في حالات الإختلاط القهري الناتج عن الحروب والإحتلال إذ ينجم عن ذلك الإختلاط " تشوهات ثقافيّة " لا تتمتع بأيّة سمة من سمات المثاقفة الطوعيّة " [2].

ويتم التبادل الثقافي من خلال تلاقح الثقافات المختلفة بمظاهر التسيير الإنساني سواء تعلق الأمر بالأدب أو الفنون أو المعتقدات ، أو غيرها من طرق معيشية .

" اقتبس التاريخ مفهوم المثاقفة وهن مصطلح ابتدعته أقلام الأنثروبولوجيين الأمر يتبيّن في حدود 1880 ، وكان الإنجليز يستعملون بدلاً عنه مصطلح التبادل الثقافي **Culturel exchange** في حين آثر الإسبان مصطلح التحول الثقافي **Transe culturation** ، وفضّل الفرنسيون مفهوم تداخل الحضارات **Civilisation interpénétration** إلاّ أنّ مصطلح الثقافة أصبح أكثر تداولاً وانتشاراً " [3].

[1] مجلة آفاق علمية ، المجلد 11، العدد 02، السنة 2019، العدد التسلسلي 19، العولمة وسؤال التثاقف ، د. مسعود لبيوض.

[2] محمد سليمان ، أمثلة الهويّات والمثاقفة في عصر العولمة ، معهد ابراهيم للدراسات الاعلامية والثقافية ، رام الله ، فلسطين ، ط01، 2008م .

[3] **Acculturation in Roger Bastide p 114. Enychopetia . universalis**

ويمكن التأريخ لكلمة **acculturation** بأنّها ظهرت عام 1880 على يد جون ويسلي باول **John wesley pouell** إذ نجد البادر" **a** " مشتق من اللاتينية " **ad** " الدال على حركة تتم عن " الاقتراب من ..." [1].

تشير لفظة تثاقف إلى مجموعة من الحلقات التي تربط بينها صلات ثقافيّة لمجموعات إنسانية من مختلف المجتمعات مما يجعلها تتسم بجملة من السمات الثقافية المختلفة .

" وحسب المعجم العربي تستخدم الكلمة في العربية مشتقة من الجذر الثلاثي " ث ق ف " وهي مبنية على وزن تفاعل ، ولكنها في استخداماتها وعلوم الإجتماع لا تكون منسوبة إلاّ إلى المثنى .بمعنى مشتق من معاني الثقافة قريب من معنى في الحذق من جهة ، ومن معنى التجادل أو التخاصم من جهة ثانيّة ، وعلق هذا بحبل إفتراق المعاني بين معجم وآخر ، وبين لسان وآخر ، على ما للمفهوم من أعماق ذات ارتباطات لغويّة أولا فكرية ، و ثانيا علمية ابستمولوجية ثالثاً" [2].

كما جاء في قاموس المعاني : مثاقفة إسم مثاقفة ، مصدر ثاقف ، مثقافة ، "إسم " إقتباس جماعة من ثقافة واحدة أو فرد .

ثقافة جماعة أخرى ، أو فرد آخر ، أو قيام فرد بموائمة نفسه أو نفسها مع الأنماط الإجتماعية أو السلوكية والقيّم والتقاليد السائدة في مجتمع آخر ، وتساعد الترجمة و المثاقفة على معرفة الآخر" [3].

---

[1] **Acculturation in Roger Bastide p 115. Enychopetia . universalis.**

[2] **"Pierre Bonte et Michel IZAR dictionnaire de ethnologie et de anthropologie**

[3] ابراهيم عزي ، ترجمة القرآن الكريم بين الدعوة والمثاقفة ضمن الترجمة وإشكالات المثاقفة ، قطر ، منتدى العلاقات العربية والجدلية ، ط 01، 2016، ص 33

ومن هنا فإنّ المثاقفة تنتج عن إحتكاك المجتمعات ببعضها والأخذ والعطاء القائم بين الأفراد والجماعات الإجتماعية فإختلاف ثقافاتها ودياناتها وتقاليدها وقيّمها .

و إذا أردنا الغوص في " مفهوم " المثاقفة فإننا نجد أنفسنا أمام تنوع صارخ في الثقافات المتابينة ، وإذا أردنا ضبطها بمفهوم فإننا لن نجد مفهوماً واحداً يعطى بإجماع الباحثين في هذا الموضوع .

تعود أول نشأة لكلمة " مثاقفة " إلى عام 1880 على يد جون ويسلي باول **John wesley pouell** إذ نجد البادر" **a** " مشتق من اللاتينية التي تدل على الحركة ومع ذلك كان لابد من انتظار الثلاثينات من القرن العشرين لتشهد نهوض تفكير منهجي حول ظواهر تلاقي الثقافات " [1].

وبعدها راحت كلمة ثقافة تأخذ أشكالاً و تعاريف مختلفة كلها تنظر إلى الثقافة بنظرة خاصة .

وسنة 1982 جاء في تعريف صدر عن اليونسكو ؛ حيث جاء فيه " إنّ الثقافة يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنّها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميّز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها ، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيّم والتقاليد والمعتقدات " [2] .

فإننا اليوم في عالم متكون من شعوب مستقلة مشيدة بالحرية ، وقد ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية أنماط ثقافية جديدة على رأسها العقيدة الرأسمالية الأمريكية ، وكذا الثقافة الأوربية التي تأسست على فكرة " الوحدة في التنوع " .

[1].وني كوتش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : د قاسم المقداد ، دار الكتاب العرب ، 2002، ص 60.

[2]ينظر : محمود الرسيخي ، واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي ضمن الثقافة والمثقف في الوطن العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 1992م ، ص 186.

والمثاقفة بوصفها مصطلحاً حديثاً ، فإنّ تركيبه اللغوي يوحي بمعاني التلاقي والإحتكاك ، والتمازج والتفاعل والتبادل والتلاقح و الاتصال البشري المثمر كما يعبّر أيضًا عن المعنى القديم الذي واكب الإنسان منذ أزمان سحيقة يحركه ميل عميق في ذاته ، نحو التواصل مع الآخرين لمعرفة ما لديهم والإطلاع على أنماط تفكيرهم وأسباب حياتهم ، وإبتكار السبل التي تمكنه من تحقيق ذلك ثم الاستفادة منه من خلال إثراء فكره وواقعه بما يجده نافعاً ومفيداً " [1] .

فالمثاقفة هي عملية التأثير والتأثر القائم بين أفراد المجتمعات للإطلاع على السمات التي يتميّز بها كل مجتمع عن الآخر .

" وهي مجموعة من الظواهر الناتجة عن إحتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في الأنماط الثقافية الأولية لهذه المجموعة أو تلك " [2] .

ومن هنا نستنتج بأنّها شكل من أشكال التغير الثقافي " فالتثاقف يشمل الظواهر التي تنجم عن الاحتكاك المباشر والمستمر بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في الثقافة ، مع ما تجره هذه الظواهر من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية ، لدى إحدى المجموعتين أو كلتيهما " [3].

وتعرف المثاقفة على أنّها المتغير الثقافي في الظواهر التي تنشأ حيث تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة في اتصال مباشر ، مما يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى الجماعتين أو الجماعات " [4] .

---

[1] محمد زرمان ، الترجمة وفعل المثاقفة ، جامعة باتنة ، الجزائر ، ص 03، ينظر: **http ://faculty .Ksu . edu. Sa/adjar Resarch / 26 liberty**.

[2] منير بعلبكي ، قاموس المورد ، إنجليزي ، عربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1994 ، ص 24.

[3] هيرسكوفيتش ملفيل ، أسر الأنثروبولوجيات الثقافية ، ترجمة رباح النقاخ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1974 ، ص 221.

[4] ينظر : ابراهيم أبو عرقوب ، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط01، ص 32.

مفهوم المثاقفة في الخطاب العربي :

الخطاب العربي في فهمه وتحليله لمفهوم المثاقفة عرف تضارب في الآراء وإختلافات كل منها ينبي على أسس وتوجهات معينة منها الموضوعية ذات المنطلقات الواقعية ، ومنها ما دخل عليها المغالات في القول ، فهناك من اعتبر هذه المفاهيم غزو ثقافي بصورة مهذبة ، تحمل في طياتها مظاهر الإستقطاب والتبعيّة والتغريب تحت مسمى الحضارة والتلاقح المعرفي كما يقول " حسن حنفي " : يعبّرون عن ذلك بأنفسهم بقولهم : فلسفتنا ، حضارتنا ، فكرنا ، أدبنا ، فننا ، تاريخنا ، موسيقانا ، علومنا ؛ بل حق ديننا وإلهنا ! عند الكتاب الأوروبيين إحساس واضح بأنّهم ينتمون إلى حضارة بعينها ، وبأنّهم ينتمون إلى حضارتهم الخاصة المتميّزة عن الحضارات الأخرى ، لذلك كان خطأنا نحن الكتّاب العرب غير الأوروبيين الذين ترجموا مؤلفاتهم وشرحوها ، وعرضوها ؛ بل وانتسبوا إليها ، واعتنقوها ، واعتبار الحضارة الأوربية حضارة عامة للناس جميعاً ، ولم نر نوعيتها ، أو رأينا وتغافلنا عنها برغبة في الحصول على الجديد بأي ثمن ، وفي فترة لم نكن فيها على وعي كافٍ بتراثنا القديم ، أو كان هذا الوعي محصور في فئة معينة من المصلحين والإحيائيين[1].

المبحث الثاني : تعريف الترجمة لغة و إصطلاحاً :

– الترجمة لغة :

جاء في المعجم الوسيط :" ترجم الكلام ، بيّنه ووضّحه ، وكلام غيره وعنه ، نقله من لغة إلى أخرى ولفلان ذكر ترجمته "[2].

[1] حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، ط01، الدار الفنية ، القاهرة ، 1991 ، ص 29.

[2] معجم الوسيط 1/83

وجاء أيضًا " الترجمة ترجمة فلان ، سيرته وحياته ، والجمع تراجم " [1] ، وهنا هي السيرة الذاتية التي يكتبها الإنسان .

ويقال : ترجمة المترجم للكتاب ؛ أي نقل كلامه من لغة إلى أخرى ".

وفي حديث هرقل :" قال لترجمانه ، التُرجُمان بالضّم والفتح هو الذي يترجم الكلام ؛ أي ينقله من لغة إلى أخرى ، والجمع تراجم " [2] .

ومن خلال التعاريف نعرف أنّ الترجمة في اللغة العربية تدل " على أربعة معاني وضّحها لنا الشيخ الزرقاني "[3] رحمه الله :

1- تبليغ الكلام من يبلغه ، ومنه قول الشاعر :

إنَّ الثَمَانِيْنَ و بَلَغْتُهَا قَدَ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى تُرْجُمَان .

2- تفسير الكلام بلغته التي جاء بها ، ومنه قيل في ابن عبّاس إنّه ترجمان القرآن .

3- تفسير الكلام بغير لغته ، وجاء في لسان العرب ، وفي القاموس أنّ الترجمان هو المفسّر للكلام .

4- نقل الكلام من لغة إلى أخرى " ولكون هذه المعاني الأربعة فيها بيان جاز على سبيل التوسع إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان ، مما عدا هذه الأربعة ، فقيل : ترجم هذا الباب ؛ أي عنوّنه ، ترجم حياته ؛ أي بيّن ما كان فيها ، وترجمة هذا الباب ، أي بيان المقصود منه ، وهلّم جراً " [4] .

---

[1] معجم الوسيط 1/84 .

[2] المصدر نفسه .

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر ، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن ، أنظر : الأعلام ، 6/210

[4] لسان العرب 12/66

الترجمة إصطلاحا :

" جاء تعريف الترجمة في قاموس دي بوا **Du Bois** على أنّها التعبير بلغة أخرى " أو اللغة الهدف " كما تقصده لغة أخرى " اللغة المصدر " مع الإحتفاظ بالتكافؤات الدلالية والأسلوبية "[1].

" وقد ظهر مصطلح الترجمة لأول مرة في فرنسا سنة 1540 بفضل المنظّر الفرنسي **Ettienne Dolet** ، أمّا عصر النهضة الأوربية فشهد تطور علم نظرية الترجمة الذي أصبح علماً قائماً بذاته وارتباطه بنظرية اللغة " .

يرى د.محمود محمد خير : " أنّ الترجمة هي ترجمة الكلام أو الكتابة من لغة إلى أخرى ".

ويعرّفها الدكتور صفاء خلوصي بأنّها : " فن جميل يعنى بنقل ألفاظ ومعاني وأساليب من لغة إلى أخرى ؛ بحيث أنّ المتكلم باللغة المنقول إليها يتبيّن النصوص بوضوح ويشعر بها بقوة كما يبنيها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصليّة " [2] .

إنّ الترجمة فعل إنساني بالدرجة الأولى ، ومن الأمور المتفق عليها أنّها قيمة مضافة إلى رصيد كل لغة ، ثقافة مستقبيلة ، وقد أثبتت هذه الظاهرة أنّ الإنسان بدوره ينفتح على الآخرين وهو اجتماعي بطبعه وفضولي بحب الإكتشاف والمعرفة من خلال التواصل لتحقيق التواصل بين الأنا والآخر .

ومن هنا تكون لدينا مثاقفة فاعلة هي التي تحدد مركز بين مختلف الثقافات بحسب شيوعها وتطورها القائم على الإنتاج العلمي والأدبي ، إلاّ أنّه من غير الممكن أن تحتفظ أمة من الأمم بمركزها الريادي للأبد ؛ بل يبقى هذا المركز متاحاً لكل أمّة حسب نتاجها وليس حكراً على أمّة دون أخرى ، وهذا ما يظهر جلياً في هذه النظرية التي تقول :" للحضارة أطوار ومراحل ، وإنّ

[1] **O dépér de traduction . théorie et pratique la traduction littéraire p 12.13.**

[2] فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة ، صفاء خلوصي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1982 ، ص 14 ، سلسلة دراسات 292.

لكل طور ومرحلة شعباً من الشعوب يحمل مشعل الحضارة (....) إذ ليس بإستطاعة أي شعب أن يحمل هذا المشعل إلى الأبد ....؛ بل هو يأخذه من شعب سابق ويسلمه لشعب لاحق مستفيداً من مجمل الإنجازات التي توصلت إليها الشعوب الأخرى قبله " [1] .

وهذا ضمن إحتفاظ الترجمة بوظيفتها الإنسانية ، والحفاظ على ديمومة التنوع والإختلاف لأنّه " يجب أن لا تهدف الترجمة على أن تطابق الأصل وتحاكيه وأن تماثله ؛ بل أن تكرّس ثقافة الإختلاف ، وأن تصبح إستراتيجية لتوليد الفوارق ، وبهذا المعنى لا تكون الترجمة علامة تبعية ونقل وتجمد وموت ، وإنّما علاقة إنفتاح وغليان و تلاقح وحياة " [2] .

علاقة الترجمة بالمثاقفة :

ظهر إرتباط الترجمة الوثيق بالمثاقفة في عدّة نقاط منها :

– **العلاقة التواصلية :** فقد لعبت الترجمة دوراً أساسيًا في عملية المثاقفة فقد كانت جسر العبور إلى مختلف الثقافات ، فقد يسرت هذه العملية وساهمت في إثراءها .

– **العلاقة المعرفية :** من خلال العملية الفاعلية بالتأثير والتأثر مما نتج عنه تبادل معرفي غزير .

– **العلاقة الإيديولوجية :** وتظهر هذه العلاقة واضحة في الغزو الثقافي ؛ بحيث تتصدر الثقافة الخاصة بأمّة ما مكانة عليا بفضل القوة الإقتصادية ، العسكرية ، التكنولوجيا .

[1] عبد الكريم ناصيف ، الترجمة أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية ، مجلة الوحدة ، العدد 62/61 ، أكتوبر ، نوفمبر 1989 ، ص 8.

[2] عبد السلام بن عبد العالي ، الترجمة والمثاقفة ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للمثاقفة ، الرباط ، المغرب ، العدد 62/61 ، أكتوبر ، نوفمبر ، 1989 ، ص 57.

" فالترجمة وسيلة لوعي الفارق بين التثاقف والإلغاء الثقافي في حين يعني التثاقف الإنصات المتبادل بين الثقافات والإعتراف بإختلافها " [1] .

الترجمة والمثاقفة من الوحدة إلى التعددية :

كانت الترجمة ولا زلت أداة أساسية في عملية المثاقفة ، وخلق التلاقح الثقافي بين الحضارات والأمم والشعوب ، وذلك بواسطة الأخذ والعطاء ضمن شروط الإختلاف والتعدد القائم بين الشعوب ، وعليه فإنّ الترجمة مقترنة بهذا التعدد فهي لا تسعى إلى اللّحن والمطابقة ؛ بل هي تدعو إلى الإختلاف والتجديد .

" وبهذا المعنى تكون الترجمة ، لا علامة على التبعية ونقل وتجمد وموت ، وإنّما على إنفتاح وغليان وتلاقح وحياة " [2].

وقد حكى لنا التاريخ عن التلاقح والتبادل الغازي بين الأمم مع الحفاظ على التباين والإختلاف " الديني ، العرقي ، اللغوي وغيرها من أشكال الإختلاف " .

ومن هنا نستنتج أنّ الترجمة رديفه للمثاقفة لأنهما يشتركان في البحث والسعي نحو إرتياد آفاق مغايرة لأشكال الثقافات المختلفة ، وفي عملية التواصل و الإحتكاك بين الحضارات .

من الأمور المتفق عليها أنّ الترجمة عنصر أساسي في عملية التفاعل بين الحضارات ، فهي القلب النابض لتحريك هذه العملية ، وهي تعد الجسر الرابط بين الأمم والشعوب ، وهي تعدّ من أهم الوسائل التي سهلت التنقل والتواصل بين المجتمعات بإختلاف لغاتها وأعراقها ....وبهذا ساهمت في تطورها ، وكانت نقطة وصل بينها .

---

[1] رشيد برصون ، الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 01، المجلد 31، سبتمبر 2002 ، ص 172.

[2] عبد السلام بن عبد عالي ، الترجمة والمثاقفة ، مجلة الوحدة ، السنة 06، العدد 21-62-989 ، المجلس القومي للثقافة العربية ، ص 08.

فالترجمة فعل ثقافي بالدرجة الأولى فهي تعتبر قناة المشافهة " تكاد تكون الترجمة قناة الترجمة قديمة قدّم المجتمع البشري وتعدد أممه ولغاته ، فلم يكن اختلاف الألسنة في عصر من عصور التاريخ حاجزاً يحول دون انتشار مظاهر الحضارة من مكان إلى آخر ، لأنّ الإنسان تواقاً إلى المثاقفة والتواصل مع الغير ، فالإنسان إجتماعي بطبعه وفضولياً ومتشوّقاً إلى آفاق أرحب من المعرفة ، وكانت الترجمة دائماً هي أبرز وسيط يرضي نظمه العلمي ، ويشبع فضوله المعرفي " [1].

وبفضل هذا التفاعل القائم بين الشعوب وثقافاتها المختلفة شهدت الأمم تدفقاً معرفياً هائلاً وتطوراً علمياً وحضارياً منتقلاً بين البشر مخلفاً بذلك إرتقاء وسمو بالفكر البشري .

" فالترجمة فعل " ثقافي " مثاقفة ، يقوم على إعادة التأهيل الواعي للثقافة الإنسانيّة استناداً إلى حرية التعبير عن الذّات ، وحريّة التّعرف على الآخر " [2].

دور الترجمة في المثاقفة :

1- تبقى الترجمة أداة فاعلة في عملية التثاقف ، فمن خلالها أصبح من السهل التعرف على مختلف الثقافات والحضارات ، وما يخصهم من عادات وتقاليد ، وطرق العيش ، وسلوكهم ، وآدابهم ، وعلومهم ، وتاريخهم .....

فكل ترجمة تعرف بشعب من الشعوب ، مثل ترجمة أعمال ديكنز **Charles Dikens** التي عرفت الإنجليز ، وغيرها من الأعمال التي اعتبرت مصباح منير يقضي على عتمة جهل الشعوب ببعضها .

---

[1] محمد زرمان ، الترجمة وفعل المثاقفة ، جامعة باتنة ، ينظر : **http // : faculty / KSU . edu . sa / Research /20 liberty**

[2] أبو العباس القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا " الجزء الخامس" الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1964، ص 459.

وبهذا أسهمت الترجمة بشكل كبير في إثراء وتفعيل المثاقفة من زاوية " مواكبة الحركة الفكرية الفكرية والثقافية في العالم " [1] ، من خلال التفاعل القائم بين الثقافات .

2- تسهم عبر مد قنوات تقنية وابستمولوجية منها :

- **قناة التواصل :** وذلك من خلال التواصل بين الثقافات المختلفة .

- **قناة التفاعل :** ويتم ذلك بخلق عملية التّأثر والتّأثر .

- **قناة الحوار المجتمعي :** ويقصد بها إرتقاء الترجمة إلى مستوى تنمية الحوار بين الأنا والآخر من خلال الدعوى إلى الحوار الحضاري والثقافي في واقع العولمة الذي أصبحت فيه المثاقفة " ضرورة حيوية لمختلف الشعوب والحضارات " [2] .

- **قناة الهويّة والاختلاف :** وهنا تحاور الترجمة البعد عن فقدان الأصالة والهويّة ، خلال عملية تطوير " الذّات " بناء على معطيات " الآخر " ضمن مقوّمات الهويّة القوميّة وثوابتها .

- **قناة التنمية الأخلاقية :** ويكون ذلك بالبعد عن العصبية والعداوة من خلال التواصل الأخلاقي ، والإنفتاح على الشعوب الأخرى وقبول ثقافتها كتغيّر مثمر في ظل عولمة الإعلام الدّاعمة على التواصل الثقافي بين الشعوب .

---

[1] عبد الكريم ناصيف ، الترجمة : أهميتها ودورها في تطور الأجناس الأدبية ، مجلة الوحدة ع 61 /62، أكتوبر ، نوفمبر 1989 ، ص 59.

[2] مسعود عمشوش ، المثاقفة ، أبرز آليات حوار الحضارات ، أنظر : www.yenenista .com / maqal 8 htm

المبحث الثالث :العولمة لغة :

في اللغة هي مصدر الفعل عولم ، وهي ما يعبّر عن انتقال المعلومات والسلع ورؤوس المال والتكنولوجيا ، ومختلف المنتجات الإعلامية والثقافيّة بحرية تامة بين المجتمعات الإنسانية ، وهي لا تقتصر على هذا فقط ؛ بل تتعداه أيضًا إلى تنقل البشر ذاتهم وكأنّ العالم أضحى قرية صغير [1].

"فهي في اللغة العربية إسم مصدر على وزن **فوعلة** مشتق من كلمة العالم بحور القولبة مشتقة من قالب وتبنى هذه الصيغة عن وجود فاعل يقوم بالفعل " [2] .

ومن هنا فإنّ العولمة هي ما تجعل من الشيء عالمي ذائع الصيت .

" عولم ، يعولم ، عولمة ، فهو معلوم ، والمفعول معولَم ، عولم الشيء ؛ أي أعطاه طابعاً عالمياً " [3] .

" حرية انتقال المعلومات وتدفق رؤوس الأموال والسلع والتكنولوجيا ، والأفكار والمنتجات الإعلامية والثقافية والبشر أنفسهم بين جميع المجتمعات الإنسانية ؛ حيث تجري المياه في العالم كمكان واحد أو قرية صغيرة واحدة ترفع الشركات العملاقة شعار العولمة لتستطيع التوّغل داخل جميع الدّول بلا قيد"[4].

ونجد أنفسنا اليوم أمام ثورة التطور الذي ساهمت فيه وسائل الإتصال بالدرجة الأولى من خلال فتح آفاق جديدة وإبتكارات منيرة .

---

[1] تعريف ومعنى عولمة في " معجم المعاني الجامع **WWW.chang.com** اطلع عليه يوم : 2018/03/21 بتصرف .

[2] أحمد صدقي الدجاني ، في الغرب والعولمة ، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية ، ط03، بيروت ، أفريل 2002، ص 63..

[3] المعجم الوسيط ، معجم المعاني الجامع

[4] المصدر نفسه.

وهذا ما أدى إلى تكاثر الثقافات ، والتسارع المهول في الوسائل وشبكات المعلومات التي تسمح بإحتكاك الثقافات بعضها ببعض ، صار من المستحيل تقريبًا تقوقع ثقافة على نفسها ، مما يحيلنا إلى مسألة التثاقف في ظلّ ظاهرة العولمة ، وهذا ما يطرح مجموعة من التساؤلات : متى ظهرت العولمة ؟ إلى ماذا يشير مصطلح العولمة ؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن النظر في مصطلح العولمة التي ترجمة لكلمة **Mondialisation** الفرنسية أو **Globalisation** الإنجليزية إلى أوائل القرن التاسع عشر " التسعينات " في مجال المال والتجارة والاقتصاد للتعبير عن هذه الظاهرة تتفشى باستمرار في زمان معين ، وهو من المصطلحات التي اتسع نطاق استخدامها بسرعة فائقة في السنوات الماضية ، و لم يلبث أن صار يحمل دلالات أخرى استراتيجية وثقافية ..... ، وأضحى مادة خصب يستخدمها الكاتب والسياسي والإعلامي ، وعالم الإجتماع ....ولعلّ السبب في ذلك هو إرتباطه بتغييرات عميقة و متسارعة يجتازها العالم[1] .

الترجمة والعولمة

ظهرت العولمة كنظام جديد يسمى **Globalisation** في الحقبة الأخيرة من القرن العشرين بحيث أنتجت نوعاً من التفاعل الحضاري بين الشعوب ، فقد عملت على إلغاء الحواجز والمعيقات بين دول العالم من خلال جعل العالم قرية صغيرة ، وبفضل الإحتكاك والتواصل الذي أصبح يسيراً بفضل العولمة التي خلقت تواصل ثقافي بين مختلف الأمم ودمجت المكان العالم في مجتمع عالمي موّحد.

[1] محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط01، 1997 ، ص 139.، أنظر : عبد الرحمان خليفة وفضل الله محمد اسماعيل ، الإيديولوجيات والحضارة والعولمة ، الحدائق ، مكتبة بستان المعرفة ، ط01، 2001، ص 221.

كما يرى بعض الباحثين أنّ العولمة إصطياغ العالم في صيغة واحدة شاملة لجميع الأقوام وكل منة يعيش فيه ، في ظلّ توحيد الأنشطة الإقتصادية والإجتماعية والعسكرية والسياسية بالرغم من اختلاف الدين والثقافة والجنسيّة والأعراق " [1] .

وقد اعتمدت العولمة في ظل كل هذا على وسائل الإتصال " السمعي البصري " والأنترنت .

وفي هذا المجال لا ننسى الدور الكبير الذي لعبته الترجمة في إثراء ذلك التبادل الفكري والعلمي بين الشعوب ، وذلك لما تقوم به الترجمة من خلق للإختلاف والتميّز وتوحيد وتزاوج في نفس الوقت ، وهذا ما ظهر جلياً في هذا القول :" إنّ التقريب فيما بين اللغات والذي تتوخاه الترجمة هو في الوقت ذاته إبعاد ، وأنّ الترجمة إذن توّحد بين اللّغات ، وتعمل بالفعل ذاته على خلق الإختلاف بينهما وإذكاء حذقته ، فليست الترجمة خلقاً للقرابة فحسب ؛ وإنّما أيضًا تكريس للغرابة ، إنّها ليست وصلا فحسب ، وإنّما هي إنفصال وإبتعاد ، إنّها الذّات من الآخر لكنّها أيضًا فصل بينهما ، فالمسافة بين الذّات والآخر لا يمكن أن تلغى نهائياً ، إذ أنّها لو ألغيت لا ما ظلّ هناك لا أنا لا آخر " [2] .

وحظيّت الترجمة و العولمة باهتمام الباحثين وأثارت جدلاً بين المؤيدين والمعارضين بين من يرى أنّ العولمة ساهمت في إثراء الترجمة وساهمت في تسهيل عملية التثاقف ، وخلقت تنوعاً فكرياً وحضارياً وساهمت في الإنفتاح والتطور ، والخروج من المألوف ، والتخلف في نظرهم ، إلاّ أنّ المعارضين الذي وصفوا العولمة بالسلبية وبالهدميّة " وأنّها تدعو إلى الإستلاب الثقافي وتدمير الهويّة الوطنيّة ، وأنبياء العولمة و فلاسفتها لا يكنون سوى الإحتقار للثقافات الأخرى غير الغربية ، وهم يصنفوها بأنّها مناقضة للعلم والتطور " [3] .

---

[1] ينظر : سهيل حسن الفتلاوي ، العولمة وآثارها في الوطن العربي ، ص 40.

[2] عبد السلام عبد العالي ، الترجمة أداة للتحديث ، مجلة فكر ونقد ، عدد 8079 ، أفريل 2006، المغرب ، ص 34.

[3] بشير إمام زكرياء ، في مواجهة العولمة ، ج01، عمان ، الأردن ، 2000، ص 04.

ومن هنا فهي تهدف إلى إفراغ الهويّة الجماعيّة من القوميّة الوطنية ، كما تحاول نظامها والقضاء على ضوابطها وقد ظهر ذلك جلياً في الترجمة من خلال الإعلاء من قيمة اللغة الانجليزية ، وانطلاق الترجمة منها وإليها وسطوها على العالم باعتبارها لغة العلم والتطور في أنحاء العالم ، ماحيّة بذلك أثر اللغات الأخرى ولاغية لها " ويرى مؤيّدوا العولمة أنّها لا تهدد الهويّة أو الهويّات الثقافية بالفناء أو التذويب ؛ بل تعيد تشكيلها أو تطويرها للتكيّف مع العصر " [1] .

" فهي في نظرهم إيجابية تعمل على إدخال كل ما هو جديد ومتطور ، وبأنّها تعمل على إعادة هيكلة الثقافات والهويّات الأخرى داخل قالب جديد لمواكبة التطور الهائل الذي يشهده العصر .

الترجمة وفعل المثاقفة في عصر العولمة :

أصبحنا اليوم بصدد قيام ثقافة عالمية ، إلاّ أنّ هذا التوجه أصبح يشكل خطراً في ظلّ عصر العولمة التي تدعوا إلى الثقافة العالمية الواحدة ؛ أي ثقافة القطب الواحد " فالعولمة باعتبارها حصيلة المستجدات والتطورات التي تسعى إلى بقصد أو دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد " ، فهي بهذا تلغي الهويّة والخصوصيات الثقافية الخاصة بكل شعب من الشعوب لصالح اللغة والثقافة الأمريكية ، وبهذا فهي تتجه إلى الهيمنة وإختراق الخصوصية .

وبهذا أصبحت الترجمة تنقل هي الأخرى من التعريف بالتعريف بالثقافات المتنوعة والمختلفة إلى الإقتصار فقط على تعميم ثقافة القطب الواحد .

وإذا تمعنا في مفهوم المثاقفة في الفكر الغربي سنجده مختلفاً وبعيداً كل البعد عن مفهومها في الفكر العربي ، فهم يرون أنّ المثاقفة هي ببساطة علاقة بين ثقافة متفوقة وثقافة متخلفة .

[1] أحلام الجيلالي ، أثر العولمة في اللساني الرسمي " العربة نموذجاً " مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ، ص 05.

ولهطا أصبح دور الترجمة يتقلص بتقليص حضور اللغات والثقافات المتعددة بفعل موجة العولمة التي أصبحت تلغي حق التعايش وحق الإختلاف والتنوع ، وإحتكار السوق اللغوي .

وظهر ذلك من خلال إستبدال المصطلحات وإعتبارها قديمة لا تخدم التطور والجدّة بمصطلحات جديدة " آلية السوق ، الشراكة ، الأجندة المستقبلية ، بنية اقتصادية " وغيرها من مصطلحات عولمية وسيطرت اللغة الانجليزية وإحياء تحالفات لغوية مثل " الفرانكفونية " وامتياز اللغة الانجليزية بحكم مكانتها التاريخية وسيطرتها على العديد من المجالات مثل البحث العلمي ووسائل الإعلام والإتصال وغيرها .

العلاقة بين اللغة والثقافة :

اللغة أداة يستعملها الإنسان للتعبير عن ما يريده ، لهذا تعدّ اللغة هي الناطق الرسمي بإسم الثقافة بسببها يخلق الإنسان التعبير الثقافي بين أمته وشعبه ، ويتعرف على الثقافات الأخرى في هذا العالم.

ولهذا تلعب دوراً كبيراً في تعليم اللّغات الأجنبية ، وهذا يدل على علاقة تكاملية بين اللغة والثقافة ، فهما من الأمور المتلازمة التي لا يمكن الفصل بينها " فإنّ ثقافة شعب من الشعوب تسهم في تطور لغته وإثراءها من خلال إدخال العديد من المفردات إليها ، فاللغة تعتبر مفرداتها من ثقافة الشعوب الأصلية التي تكلم بها ، وما اللغة العربية وبحر مفرداتها الذي لا حصر له إلاّ إمتثالاً واضحاً وجلياً له " [1] .

[1] WWW.publictio .iua . edu.sot قضايا اللغة والثقافة ، أطلع عليه بتاريخ 2018/04/27، بتصرف : ص 216، 217.

لا يمكن الحديث عن الثقافة من دون ذكر اللغة ، واللغة في نطاقها المكتوب ومنطوقها هي جزء من ثقافة المجتمع التي يتحدثها ويستخدمها ، فاللغة هي الوسيلة الأولى التي يعبّر من خلالها الإنسان عمّا يجول في خاطره من أفكار وهي في أحدها تعريفاتها الناطق الرسمي باسم الثقافة ، وأحد أوجه التميّز لأي شعب من الشعوب " [1].

فقد اِعتنى الكثير من الفلاسفة بموضوع اللغة ، و رأوا أنّ هناك علاقة وطيدة بين اللغة والثقافة .

عمل سابير وتلميذه ووراف على إثبات العلاقة بين اللغة والثقافة في حال إنهما غير منفصلين في نص التميّز الذي تحدث فيه عن تلك العلاقة " الناس لا يعيشون بمعزل عن النشاط الاجتماعي كما يفهم بصفة عامة ولكنهم يعيشون تحت رحمة اللغة صارت وسيلة تعبير لمجتمعهم ، ومن الوهم أن نتصور أنّ الواحد يساير الواقع أساساً دون إستعمال اللغة ، وأنّ اللغة مجرد وسيلة عريضة لحل مشاكل محددة في التواصل أو التكفير ، حقيقة الأمر انّ العالم الواقعي إلى حد كبير مشيّد على العادات اللغوية للمجموعة.... نحن نرى ونسمع خلافاً لما يقال ، نجرب بطريقة واسعة كما نفعل لأنّ العادات اللغوية للجماعة تفرض مسبقاً إختبارات تأويلية معينة" [2].

" فاللغة جزء لا يتجزأ من الثقافة فهي تعبّر عن الواقع الثقافي وتشكله على حد سواء ، كما أنّ دلالات العناصر اللّسانية سواءاً كانت كلمات أو مقاطع أكبر النص لا يمكن أن تفهم إلاّ ضمن السياق الثقافي الذي وظّفت فيه " [3] .

---

[1] مجلة الخلي ، اللغة والثقافة ، تاريخ النشر : 2017/12/26، عثمان حسن .

[2] الوراق WWW **. nat**

[3] الكاتبة بو زرورة سارة ، مجلة البدر ، ص 242، 206.

وفي كتاب اللغة والثقافة لكلير كرامش " سلّط الضوء على الأرض التمهيدية لدراسة آليات اللغة لحاجة الساحة الثقافية إلى هذه الدراسات مبيّنة العلاقة الجوهرية بين اللغة والثقافة منذ فرضية سابير وكيف ، وما أطلق عليه نظرية النسبيّة اللغوية التي تحاج بأنّ مفاهيم وتصنيفات الثقافية المختلفة الكامن في لغة معيّنة تأثر على إدراكنا للعالم المحيط بنا ، وعلى هذا الأساس وفق معايير سابير وُلِفْ إنّ المتحدثين بلغات مختلفة يفكرون ويتصرفون وفق أنماط مختلفة [1] .

وقد تحقق فعل المثاقفة في الإزدواجيّة الثقافية أكثر أهمية من الإزدواجية اللغوية فالترجمة ليست مجرد فعل لساني ؛ بل هي فعل ثقافي أيضًا ؛ أي فعل تواصل بين الثقافات ، ودائماً ما تنطوي الترجمة على كل من اللغة والثقافة ببساطة لأنّ كلتيهما لا يمكن فصلهما عن بعض ، فاللغة جزء لا يتجزأ من الثقافة ، فهي تعبّر عن الواقع الثقافي وتشكله على حدّ سواء ، كما أنّ دلالات العناصر اللّسانية سواء كانت كلمات أو مقاطع أكبر من النص لا يمكن أن تفهم إلاّ ضمن السياق الثقافي الذي وظّفت فيه .

[1] **E. Sapir .language : an introduction to the study of speech .New work .Harcourt .Brace .1921.**

الظاهرة الكولونيالية

المبحث الأول : مفهوم الكولونيالية

المبحث الثاني: علاقة الأنا بالآخر

المبحث الثالث: رواية" سأهبك غزالة "لمالك حداد نموذجا

المبحث الأول : الأدب الكولونيالي :

تمهيد : ظهرت الرواية الفرنسية المكتوبة باللغة الفرنسية كتيار أدبي جديد غريب عن الساحة الأدبية الجزائرية كونها تطرح إشكالية يعتبرونها إلتباس كبير ، وتقف على البحث عن الهويّة والإنتماء في مقدمة القضايا التي تبحث عن حدود العلاقة وجدل الواقعة اللغوية في الأدب الجزائري المعاصر التي نشأت في ظروف إجتماعية وسياسية وتاريخية خاصة إرتبطت بمرحلة معينة من تاريخ المجتمع الجزائري وحققت مستوىً فنياً وأسلوبياً وسايرت حركة التطور التي شهدها ذلك العصر .

ومن هذا المنطلق إنقسم الأدب الجزائري إلى قسمين : أدب جزائري مكتوب باللغة الأم ، وأدب جزائري مكتوب باللغة الفرنسية ، وهذا الأخير طرح إشكالية الهوية في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية .

ظهر الأدب الكولونيالي مع اِنتشار الحرية الكولونيالية في أوروبا ، وهو الأدب الذي كان يمجّد الاستعمار الأوروبي ، ويحاول أن يجد له الأعذار والمبررات في سياسته الاستعمارية ؛ بل ذهب إلى حد القول بأنّه لولا هذا الاستعمار لّما عرفت إفريقيا وغيرها من المستعمرات الشرقية والغربية الحضارة ، مما يؤكّد في نظر رواد الحق في اِستعمار هذه الشعوب [1] .

مفهوم الكولونيالية :

يعتبر مصطلح الكولونيالية ذا أهمية في تحرير الشكل المحدد للاستقلال الثقافي الذي تنامى مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة وعلى الرغم من أنّ العديد من الحضارات كانت

[1] ينظر : بيل إشكروفت وجاريت غريفيثوهيلين تيفيت ، دراسات ما بعد الكولونيالية " المفاهيم الرئيسية ، تر : أحمد الروبي وأيمن حلمي ، وعاطف عثمان ، تق : كريمة سامي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط01، 2016، ص 283.

تنظر إلى علاقاتها بتلك المستعمرات بوصفها علاقة قوة متمدنة فقد تدخل عدد من العوامل الحاسمة في بنية ممارسة الإمبريالية [1] .

ومن هنا نفهم أنّ التوّسع الأوروبي أثّر على الثقافة والسياسة والاقتصاد والمجتمعات العربية الضعيفة.

الكولونيالية تطلق على السيطرة والتأثير الذي تفرضه الدولة على الكيان التابع لها والنظام أو السياسة التي تنتهجها في الحفاظ على السيطرة (فالكولونيالية هي ممارسة يتم من خلالها اِكتساب السيطرة على بلد آخر بإحتلالها عبر المستعمرين أو المستوطنين واِستغلالها إقتصادياً) .

وتعرف كلمة الكولولونيالية **Colonialisme** بأنّها عملية تأسيس مستعمرة منة خلال اِستيلاء على مكان آخر " [2] .

فالكولونيالية تعني الهيمنة دولة ما على أراضي دول أخرى وشعوبها ، وقد وصفتها الترجمة العربية بالاستعمار والاستعمارية ، وقد نشأ هذا المصطلح بالتوازي مع اِزدهار الرأسمالية كقوة عملاقة صاعدة للعالم الغربي والغزو الأوروبي .

ومن هنا " فالمصطلح الكولونيالي مرتبط بالدول الأوروبية التي تعتبر قوية ، وأنّها تملك كل المؤهلات لفرض قوتها على الدول الضعيفة ، وهذه الثروة تكمن في ثروات وتقنيات وتطورات علمية ، التي تجعلها قادرة على الاستعمار ، فالكولونياليين دائما يضعون أنفسهم في الدرجة العالية و المرتبة الأولى وهي مرتبة القوى والسلطة ، وبهذا حقق الكولونيالي هدفه وطموحه ، فإذا اِعتمدنا على الكولونيالي لكل من صفة والاسم الدّال على الشخص يناصر سياسة الكولونيالية ،

[1] كرمة سامي ، دراسات ما بعد الكولونيالية مفاهيم رئيسية ، ص 106.

[2] رامي أبو شهاب الرهيص والمقاتلة ، ص 48.

بينما إستخدمنا المستعمر الدال على شخص المستوطن على المستعمرة ، أو أحد المؤسسين للمستعمر ، وقارنا بين كلمة إستخدام الكولونيالية الأولى ، والاستعمار الثانية " [1].

ومن هنا يظهر الفرق بين من يناصر سياسة الكولونيالية وبين من يحضر بنفسه للكولونيالية .

ما بعد الحداثة وبعد الكولونيالية :

وفي هذا الصدد تتداخل العلاقة ما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية تقول فريال غزول في دراستها "ما بعد الكولونيالية وما وراء المسميات " فهي تشير هنا إلى ظاهرة ما بعد ، وهي تعبر عن مأزق تحديد الاتجاهات الجديدة التي تكتفي بترويج هذه التسميات الغير محددة ، فهي تدل على الخوف من الركود النظري ، فتضعه بمصطلحات مغايرة لتعطي إحساس مختلف " وهي ترى أنّ تعبير ما بعد يشير إلى موقفين يبدوان متناغمين في نفس الوقت متلاحمان ، فما بعد الكلونيالية مصطلح يتأرجح ما بين النفي والإثبات فهي تنطلق من حقيقة كولونيالية وأثرها على العالم مستعمر يفتح العين ، لكنها تتجاوز مقاومة الاستعمار بالتعامل بشكل مناقض ما بعد الهيمنة [2] .

والمقصود " بما بعد الكولونيالية منذ الكولونيالية كل ما ترتب على الغزو الاستعماري ، وهذا يشمل تحليل السعي الإستعماري للهيمنة ، وسعي المستعمرين للمقاومة ، كما يتضمن تحليل الكولونيالية الجديدة وظاهرة تصفية الاستعمار ، وإنتقاد مؤسسة الكولونيالية السياسية والإدارية إلى مؤسسات إمبريالية في مرحلة الرأسمالية المتأخرة " [3] .

تحضر إفريقيا حضوراً قوياً في الدراسات التي تتعلق في ما بعد الكولونيالية ، وذلك في مواضع عدّة مثلما ظهر في دراسة غزول في البحث أبراجيتا سَعَارْ دراسات ما بعد كولونيالية في قاموس

---

[1] كرمة سامي ، دراسات ما بعد الكولونيالية مفاهيم رئيسية ، ص 106

[2] المرجع نفسه . ص107.

[3] فريال جبوري غزول ، ما بعد الكولونيالية وما وراء المسميات ، قضايا فكرية ، العدد 19-20، القاهرة 1999، ص 384.

النظرية الثقافية والنقدية 1996 والتي تتعلق باللغة تقول " مسألة اللغة وثنائية المستعمرين اللغوية جعلت أديب مثل الكيني نغُوغِي وأثيونْغُو الذي أبدع في كتابة روايات عديدة باللغة الانجليزية يقرر هجرها للتعبير الإبداعي باللغة الإفريقية مع أنّه يدرك أنّ الكتابة الإبداعية الإفريقية باللغة الانجليزية قد حوّلت اللغة الانجليزية و أفرقتها إلاّ أنّه يرى ضرورة أن يستمر الأديب مبدعاً في لغته المحلية حتى لا تضر أو تنقرض " [1].

والموضع الثاني في عرضها للكتاب الذي حرره جونتين منتجات أرنورد ما بعد الكولولنيالية بالانجليزية 1996 م ، الذي قسّم عمله الإقليمي بادئاً بإفريقيا التي تنقسم بدورها إلى جهاتها الأربعة قلب إفريقيا وشرقها وجنوبها وشمالها ، وذكر من شمال إفريقيا نصاً للكاتب السوداني جمال محجوب مقتبس من روايته الأولى بالانجليزية " إبحار مستنزل المطر 1989 م " .

مع أنّ المحرر يمثل للمناطق الأخرى من إفريقيا نماذج متعددة ص 388. [2].

الموضع الثالث : إشارة إينالومبا الأستاذة بجامعة الجواهر لالْ نهر في كتابها الكولونيالية وما بعد الكولونيالية بعد عرضها آراء بارثثا تشارجي عن بلورة حركة النضال الهندي لمفهوم المرأة الجديدة بإعتبارها مختلفة عن المرأة الغربية ....فقد أوضح فرانس فانون في كتابه الاستعمار المتحضر المرأة الجزائرية وصنفت حسب متطلبات النظام والمقاومة لتكون تارة سافرة ومتشبهة بالأوروبيين حاملة المتفجرات ، وتارة محجبة وبيئية كرد لمطالبة الاستعمار بسفور المرأة ، وهكذا

[1] **Aparajita Sagar postcolonial : Abictiarrary of cultural and critical theory ed Micha Payne oxford .Black well.1996.** نقلا عن فريال غزول .

[2] **John Theine (ed) . The Arnold Anthology of pas colonial fiteratues in English London** ، فريال غزول ، المرجع السابق ، ص 388.

تكشف معركة الحجاب والسفور مستوى آخر من الهيمنة والمناهضة والمواجهة تتجاوز الظواهر نفسها لترمز إلى معركة أوسع [1]، ص 192، 194 .

ما بعد الاستعمارية :

هي الدراسة الأكاديمية للإرث الثقافي للإستعمار والإمبريالية وهي تركّز على التبعات البشرية لإستغلال السكان الأصليين في الأراضي المستعمرة والسيطرة عليهم وعلى أراضيهم ، تعتبر ما بعد الإستعمارية تحليلاً نظرياً نقدياً لتاريخ وثقافة وأدب وواقع القرى الاستعمارية الأوروبية .

يبيّن اسم ما بعد الإستعمارية على نمط مصطلح ما بعد الحداثة والذي يشترك معه بعدد من المفاهيم والوسائل حتى أننا يمكن أن نعتبره رد فعل على الخروج من سلطة الإستعمار بشكل متشابه لما بعد الحداثة التي هي ردّ فعل على الحداثة ، يمكن أن يشير مصطلح الإستعمار الغامض إمّا إلى نظام حكم ، أو إلى أيديولوجية أو إلى الرؤية الكونية المبطنة لهذا ، وبشكل عام تمثل فكرة ما بعد الإستعمارية الإجابة الإيديولوجيّة على الفكر الإستعماري بدلاً من وصف نظام يتلو الإستعمار ببساطة يمكن الإشارة إلى مصطلح دراسات ما بعد الإستعمار لهذا السبب تشمل ما بعد الإستعمار طيفاً واسعاً من المقاربات الفكرية كما أنّ أصحاب النظريات قد لا يتفقون دوماً على مجموعة مشتركة من التعريفات بكل مبسط يمكن أن تسعى من خلال الدراسة الأنثروبولوجية إلى تشكيل فهم أوضح حول الحياة الإستعمارية من وجهة نظر الشعوب الخاضعة للإستعمار ، وذلك بإعتبار الحكام المستعمرين رواة غير موثوقين للأحداث .

على مستوى أعمق تبحث دراسات ما بعد الإستعمارية في العلاقات الإجتماعية وعلاقات السلطة السياسية التي تحافظ على الإستعمار بشكله القديم والجديد ، ومن ضمنها الحالات والثقافية المحيطة بالمستعمِر والمستعمَر ، وقد يتداخل هذا المنهج والفكر مع التاريخ المعاصر والنظرية

[1] **Anis loomba. Colonialism post comonialism . London . Routl dge 1998.**، نقلا عن : فريال غزول .

النقدية ، كما قد يستمد أمثلة من التاريخ والعلوم السياسية والفلسفة وعلم الإجتماع والأنثروبولوجية والجغرافيا البشرية تدرس فروع ما بعد الإستعمارية تأثيرات الحكم الإستعماري على مجالات التسوية واللاسلطوية والأدب والفكر المسيحي [1] .

وعلاقتهم بأوروبا الغربية لمركز لتاريخ العالم ، وبالتالي أصبحت دراسات لتابغ نموذجاً للبحث التاريخي لتجربة التابع في ما بعد الاستعمار في شبه القارة الهندية .

النظرية : "تدرس نظرية ما بعد الاستعمار القوة والهيمنة المستمرة للطرق الغربية في البحث الفكري وأساليب توليد المعرفة يتناول إدوارد سعيد من الناحية النظرية في كتاب الإستشراق 1978 ، المواطن التابع المضطهد يشرح كيف أنتج المنظور الأوروبي المنحى للإستشراق " [2] ، الأسس والمبررات الإيديولوجيّة للهيمنة الاستعمارية على الآخر إختلق الأوروبيون مناطق جغرافية وهمية للشرق ، وصور محددة مسبقاً لشعوب المسيحية والأماكن الغربية ما وراء أفق العالم الغربي قبل إستكشافاتهم الحقيقية في الشرق ، عزز المسافرون الذين عادوا من آسيا إلى أوروبا مع تقارير عن وحوش وأراخن [3]وحشية أساطير الإستشراق التي إستندت إلى الفرق المفاهيمي والغرابة المتعلقان بالمشرق و كرّست هذه الخطابات الثقافية عن الشرق من خلال وسائل الإتصال الجماهيرية في ذلك الوقت وخلقت علاقة " نحن وهم " إجتماعية ثنائية التي عرف بها الأوروبيون أنفسهم من خلال تحديد الإختلافات بين الشرق والغرب [4]، أساءت علاقة نحن وهم الاجتماعية الثنائية كأساس لإستعمار تمثيل الشرق بإعتبارها أرضًا متخلفة وغير عقلانية وبحاجة إلى الرسالة الحضارية الأوروبية لمساعدتهم على أنّ العلاقة تحت وهم الاجتماعية .

---

[1] بيل إشكروفت وغاريت غريفيثوهيلين تيفيت ، دراسات ما بعد الكولونيالية " المفاهيم الرئيسية ،..... 1998 .

[2] غيارتي سبيفاك ، ناقد ما بعد الاستعمارية ، 1990.

[3] بيل إشكروفت وغاريت غريفيثوهيلين تيفيت ، مفاهيم أساسية في دراسات ما بعد الاستعمارية ، 1998 .

-إدوارد سعيد ، الاستشراق ، 1978

[4] صومي بابا ، حياة جامدة ، 2001م ، ص 01.

المبحث الثاني : علاقة الأنا بالآخر :

أثارت قضية الأنا و الآخر جدلاً كبيراً نتج عنه تيارين ، تيار جسد اِنتصارت الأنا الغربية وثقافتها وحضارتها وديانتها على الآخر الغربي وحضارتها ؛ أي تحقير الغرب وتمجيد الشرق وتيار ينظر نظرة إيجابية وتخلف من الآخر عالم ملائكي يستحق التفاعل والإندماج ، وهذا ما ظهر في كتاب الأمير من خلال نظرته الإيجابية إلى الآخر الفرنسي ، فنظرية الأنا والآخر إشكالية تختلف بإختلاف وجهة نظر روائي ؛ حيث يظهر الروائي العلاقة بينهما عن طريق المقابلة بين الأنا (الذات العربية) – (والآخر الغربي المتحضر) .

و سبب هذا الصراع والتضارب في الآراء هو التناقض بين حضارتين ؛ أي ثقافتين ، وإذا صحّ القول الحضارة الغربية قويّة قائمة بذاتها ، وشرقية مستضعفة تحاول الدفاع عن نفسها ، وتدور كل الروايات في أنّ كل فعل يقابله ردة فعل " مُسْتَعْمِرْ – مُسْتَعْمَرْ " – " غرب – شرق " ثقافة متطورة – ثقافة تقليدية " ، تعليم تقليدي يقدّمه شيخ في زوايا " [1].

فالمستعمِر كان له هدف وأراد فرض السيطرة على المستعمَر وطمس هويته وثقافته وتقاليده من خلال إشباعه بالثقافة الغربية التي أخذت المركز السامي المتقدم ، وإخضاع الحضارة العربية للهيمنة الغربية .

والتعدي على رموزها الوطنية والعسكرية والسياسية ، والاقتصادية والثقافية للتفرد بالتفوق والقوة السياسية والعلمية والاقتصادية والعسكرية ، وهذا ما عزّز الصراع بين الغرب الحدثي والإسلام الأصولي ، لأنّ الأنا العربية لا تزال تعاني الإضطهاد والقمع والظلم من طرف الآخر الغربي ، وأكبر مثال على ذلك ما تعيشه فلسطين .

[1] إسماعيل حاجم ، الصراع الحضاري في رواية الفرنكوفونية المغاربية ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007، ص184.

إنفتاح الأنا الجزائرية على الآخر الغربيفي مختلف المجالات، فالأمير عبد القادر يعدّ أكبر دليل لقوة الجزائري العربي وصموده أمام العدو الغربي ، وتجلى هذا في روايته المتفتحة على العالم بتقدمه وتطوره ، فقد فتح كل الأبواب أمام الحضارة والثقافة وعلوم المستعمر ، كما حاربهم بسلاحهم ؛ حيث قرأ الكثير من الكتب الفرنسية ، وقرأ الإنجيل ، ويظهر هذا في قوله " بدأت أقرأ كتابكم الإنجيل ....لكن هذه المرة أنا مصمم على قراءته كاملاً " [1] .

وقد تجسّد اِنفتاح الأمير في علاقته بالآخر " مون سينيور دي بوش – وأجين دوما – وكابتن بواسيني " فقد ربطتهم بهم علاقة تفاهم وتعاون وتبادل بعيداً عن العدوان ، وقد ظهر ذلك جلياً في حديثه مع سي مصطفى " نحن سجناء وكل ما بنيناه عن فرنسا وأوروبا كان جوهره غير صحيح لنا ، ننظر إلى أنفسنا أننا الوحيدون الذين ينظر الله إلى وجوههم يوم القيامة ، وأنّ الجنّة حكرًا لنا ، وأنّ الله ملك للمسلم وكل ما تعلق الأمر بالآخرين أنزلنا عليهم السخط [2] .

فقد جسدت لنا هذه الرواية ثنائية الأنا والآخر من وجهة نظر الإنفتاح على الآخر ، الأنا متجسدة في ذات الأمير عبد القادر القائد المناضل ، والآخر ؛ أي القس أودولف مون سيتيور دي بوش " ،وهي شخصية مسيحية إنسانية عظيمة ؛ بحيث كانت العلاقة بينهما حميمية .

يعدّ عمل التيار السلبي على وضع آخر عن طريق تناول موضوع الثورة وكشف الآخر الفرنسي ووصفه بأنّه عدو لدود فهو في نظره سبب في التخلف والانحطاط وتشتت الأنا العربية ، وهذا ما يخلق علاقة تصادم وعداوة ، وهنا تبقى الخلفية التاريخية " الاستعمار " مؤثرة على الأنا وتعاملها مع الآخر ، وهذا ما يجعلها تنحصر في إيطار مغلق حتى تمي نفسها وتحافظ على كيانها .

---

[1] واسيني الأعرج ، كتاب الأمير سالك أبواب الحديد ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط02، 2008، ص 36.

[2] ينظر : مقدمة مكملة لنيل شهادة ماستر " جدلية الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير سالك أبواب الحديد ، للروائي واسيني الأعرج ، للمقراني في تلقي وتأويل .

ولهذا رفضت كل ما هو أجنبي بحكم أنه المناقض له ، فإحساس وشعور العربي بتفوق الغرب عليه في مجالات كافة هاجساً مريراً أحبط لديه كل المحاولات تحسين موقف الأنا بإزاء الآخر والتفكير بالتفوق عليه ، وبالتالي كان الإحساس بالهزيمة مريراً ولاسيما هو يحاول إثبات وجوده"[1].

وهذا ما جعلها تتصف بثقافة المقاومة وعدم تقبل ممارسات الآخر ورفضها بعنف وشدّة ، فالأنا بقيت صامدة و لم ترضخ إلى هيمنة ولهذا كبر هاجس الهويّة والدفاع عنه بكل ما أوتيت بقوة.

الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية

تضاربت الآراء عند العرب والفرنسيين وإختلافهم حول إنتماء الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية وهويته ، فالكثير منهم رأى أنّ كتابات المدرسة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية تنطوي تحت جناح الأدب الفرنسي لما حققه من النجاح النقد الأدبي الفرنسي وفي الوسط الفرسي ، فالأدب عند الجزائريين كان آنذاك ثانوياً و لم يولوه أهمية لأنّه لاقى نجاحاً كبيراً في الأوساط الفرنسية ، وبهذا أصبح يماثل الأدب الفرنسي الذي إهتم بالقضية الجزائرية ، وكتب عنها محاولاً الإطاحة من شأن الجزائري الذي أصبح يكتب بلغة عدوّه مخاطباً بها جمهوراً غير جمهوره ، بسبب ما لقيته هذه الكتابات من قبول لدى الجمهور الفرنسي ، فهي بهذا تخرج وتبتعد عن هدفه الذي يسعى في خدمة القضية الجزائرية والتعبير عنها وعن شعبها .

وفي هذا الصدد قال الكاتب الجزائري عبد المالك مرتاض : " إنّ رأيي في هذا الأدب سيء جداً ، وقد أكون مخطئاً فيما أرى ، وقد أكون قاسياً فيما أحكم ، فهذا الأدب غريب عن نفسه

[1] محمد صابر عبيد ، جماليات التشكيل الروائي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط01، 2012، ص 72.

ومنفياً من موطنه الذي كتب فيه ، ولم يستطع أن يلعب دوراً خطيراً في إذكاء نار الثورة التي فيّضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود اِستعمار ثقيلة " [1] .

ومن هنا نرى أنّ اللغة الفرنسية في نظر الجزائري المتعصب لعروبته أنّها سلاح المستعمر لضرب وإغتيال اللغة العربية ، فهي بهذا تشكل خطراً على اللغة والهويّة الجزائرية .

لم يتمكن الكتاب الجزائريون بالفرنسية بإرصاد جمهورهم الفرنسي ولا الجزائري ، فمنهم من رأى بأنّهم بعيدون عن الهويّة الجزائرية في أعمالهم ، والبعض الآخر رأي أنّها أعمال عادية تقليدية ، وهذا ما جعل الكاتب الجزائري بالغة الفرنسية يقف موقف حيرة على الهامش .

فالجمهور الجزائري كان ينظر إلى هذا العمل الأدبي نظرة إنزعاج وإرتياب كونه غريب عليهم فهم يرون بأنّه يحتكم بالثقافة الفرنسية بصورة أولى بغض النظر عن إنتماءه الثقافي ، وهذا ما جعل الجزائريين يعتبرون هذه الموجة الجديدة من الكتاب بعيدة عن المجتمع الجزائري لأنّ لغتهم المستخدمة بعيدة عن لغة مجتمعهم ، ولأنّ هذه الأعمال لاقت إهتماماً في فرنسا فقد حاولت إغرائهم بالجوائز والتكريمات.

والبعض الآخر يرى بأنّ هذا النتاج الأدبي هو عبارة عن مولود ناتج عن تجاوز الشكل الفرنسي والمضمون الجزائري ، وهذا ما أشار إليه الناقد عبد المجيد عنون بقوله :" هذا المولود الإستثنائي يولد ويكبر ويساهم في الحياة لكنه لا يمتلك شبيهاً ولا يمكن التخلي عنه .

أمّا الناقد الفرنسي " بول غوت " :" لقد بيّنت سابقاً قفزته الرائعة التي حققتها كتابات تمال غارسيا ، محمد ديب ، مولود معمري ، ويمكن إضافة ألبير ميمي **Albert mimmi** فنجاح هذه

[1] عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر ، الجزائر ، 1925 – 1945 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 21.

المجموعة التي اتخذت كامو قدوة ومثال ، وتميّز ما يدل على اِتساع رقة الثقافة الفرنسية في تميّزه يسعى فيها العديد من الناس إلى نفي منافعنا في الأعراض التابعة للحكم " [1] .

وبهذا راح الكتّاب الجزائريين يسيرون مسار كتّاب آخرين أمثال كامو ، وهذا ما يتضمنه في رسائل مولود فرعون إلى أصدقائه .

مع تطور وتنامي الروح الوطنية ظهر حقد كبير على ما يمت إلى الاستعمار بصلة ، وهذا ما جعل الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في موقف إتهام ، فنظر إليه نظرة رفض وإنكار دون مراعاة مواضيعه كما هو الحال عند مالك حداد في روايته " رهيف الأزهار لا يجيب " ومولود معمري " نوم العدل " ، المعبّر عن الواقع الوطني الجزائي ، وهذا ما جعلنا نتسائل عن هوية النّص الأدبي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة ، وهل يكتب الكاتب الجزائري بقلب جزائري ولسان فرنسي أم العكس ؟

وفي هذا الصدد تضاربت الآراء النقديّة لبعض الدارسين الجزائريين والأجانب والمبدعين ، ومن هنا تثار قضية الإنتماء الوطني للنّص المكتوب باللغة الفرنسيّة ، فنجد " من يعترف بعروبة هذا الأدب وإنتماءه الوطني اجزائري على الرغم مما يحمله من ثقافة غربية وتدوين لغوي أجنبي ، وبعضهم من تبنى في تحديد هويّة هذا الأدب " [2] .

في نظرهم هذا الأدب يحمل الشخصية وروح الوطنيين في دفاع هؤلاء الكتاب عن ماضي وتقاليد جزائرية خاصة .

فنجد عبد الله ركيبي يقف موقف مساند لهذا الأدب المكتوب باللغة الفرنسية مصرّحاً " وجملة القول إنّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسيّة قد أوجد لظروف وأسباب في مرحلة معينة ،

---

[1] **Jostte Bryson .Mohamed Dib . la grand moisson et sa réception dans la presse Douvres et critique revue international (la littérature Magrébine de la langue Française durant la culture) éd jean Michel place 1997 . p 83**

[2] أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984م ، ص 102.

وهو إن كتب بلغة أجنبية فإنّه يعبّر عن مضمون جزائري وواقع وطني ، الأمر الذي يجعل منه أدباً وطنياً محلياً [1] .

ومما سبق ذكره نجد أنّ هذا الأديب يدافع عن عروبة الجزائر وضرورة الأخذ باعتبار هذه النصوص المكتوبة باللغة الفرنسية ، ونجد كثيراً من الدارسين والباحثين قد جاروا في رأيهم بالإنتساب الوطني لهذا الأدب أمثال الباحث " أبو القاسم سعد الله " الذي نادى بضرورة التعامل مع هذه النصوص تعاملاً موضوعياً " [2] .

في حين أنّ البعض الآخر نفى وعادى كل من كتب باللغة الفرنسية غير مبالين بالظواهر الأدبي الفريدة التي ظهرت باللغة الفرنسية آنذاك ، وهذا ما أدى صمت مالك حداد نهائياً عن الكتابة وكاتب ياسين الذي تحول بالكتابة إلى العامية ، بعدما سئم من ترديد أنّ اللغة الفرنسية غنيمة حرب ، ورحل محمد ديب عن باريس ليقيم في جزيرة كورسيكا ، وظهرت كتابات الفرانكوفونيون التي نادت بالهويّة والجزائر أنجبت كتاباً شباباً يكتبون باللغة الفرنسية باختيارهم الشخصي لا عن إغتراب ، و المناداة بتحقيق الحريّة التي حرموا منها ، قال أحد الدارسين الجزائريين : " إنّ هذا الأدب غريب في نفسه ومنفي عن موطنه الذي كتب فيه ، و لم يستطع أن يلعب دوراً كبيراً في نهضة الأدب المعاصر في الجزائر ، نأمل في أن يلعب دوراً خطيراً في إذكاء نار الثورة التي قيّضت للشعب الجزائري أن يكسر قيود الاستعمار الثقيلة ، ومن خلال هذا يتبيّن لنا دور الوظيفة الفنية والأدبية واللغوية وغيابها في تحريك أدب الجزائر ، وهذا ينفي إنتماءه إلى الهويّة الجزائريّة " [3] .

---

[1] ينظر : عبد الله الركيبي ، قمة الجزائرية التميّز ، ص 249.

[2] عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب المعاصر الجزائري ، ص 06.

[3] واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م ، ص 77.

كما أننا نجد بعض الكتاب الجزائريين الذين يعيشون بفرنسا وتمسكوا بانتماءاتها وبهذا غيروا صورة فرنسا قلباً وقالباً ، فبالنسبة إليهم لم تعد ذلك العدو الذي المتعدي على أرضهم ؛ بل أصبحت في نظرهم ذلك الصديق الذي يحاول الإصلاح ومساعدة الشعب ومنهم " رابح زناتي 1877- 1952" صاحب رواية بولنوار الجزائري الشاب ، إذ يقول :" أنّ الأفضال كلها المادية والمعنوية ترجع لفرنسا وفي المقابل عن القضية الجزائرية بمنظور جزائري مسلم كتب سنة 1938م أنّ من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة في العالم هي المعلمة ، فمعها تمكنوا الجزائريين من يخطو خطوات عملاقة ، وكذلك التي ينزع إليها في الفرنسية ؛ أي منح روح فرنسيّة وتفكير غربي " [1].

" فالكتّاب الأوائل الذي أتقنوا اللغة الفرنسية وتبنوا الحضارة الغربية ، وأحسوا بضرورات الإعتراف بالجميل وردّه عن طريق كتابة أعمال روائية واضح أنّ فرنسا تبدو محبوبة ، فكتابات الكتّاب الجزائريين بين 1920-1950 توحي بالودّ والشغف لفرنسا ، معادا لحمامي وبنابي "[2].

ومن هؤلاء الذين أـقنوا اللغة الفرنسيّة شكري خوجة في روايته الأولى " مأمون 1928 " يتساءل البطل مأمون قائلا : تمتلك فرنسا حقوق علينا ، وأنا أشعر برغبة غامضة أن أقدم شيئاً يفيدها وأنا العربي لي هدفي ، وهذا رائع أن أجده في فكرة الوطني " .

وإذا أمعنا النظر في بعض الكتابات التي اهتمت بالأدب والأدباء نجد بعض الكتاب الفرنسيين يخلطون الأدباء الأصليين ضمن الأدب الكولونيالي ، ويرى بعضهم أنّ الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسيّة جاء في ففترة معينة ولأغراض معينة السلبية منها والإيجابية، وقد ظهرت ظاهرة الهجرة في جيل كتاب أبناء المعمرين مع بداية الاستقلال وبالمقابل دخول الكتاب الجزائريون الذين كتبوا بالفرنسية إلى بلادهم وهذا ما أضعف فرنسا " إزدهرت حركة التأليف باللغة الفرنسية

[1] واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص78.

[2] **Jean dejeux .situation de la littérature magrébine de la langue française p 24**

وخاصة في الفن الروائي والمسرحي ، فإنّ إحصائية الفن المسرحي تصل إلى 37 رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية ما بين 1945- 1964 م " [1] .

وهذا ما يدل على تطور الحركة الثقافية الجزائرية باللغة الفرنسية وهذا ما أدى إلى ظهور طبقة فرنسية التي أيدتها الإدارة الاستعمارية فهي بهذا تعمل على محاربة اللغة العربية والقضاء على الشخصية الجزائرية من خلال تفضيل مثقفين بالفرنسية وحرمان من يدافع عن اللغة العربية ، وهذا ما يسمى بالسياسة الاستعمارية القائمة على طمس الهوية الوطنية .

" فقد نشأت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في ظروف إجتماعية وسياسية وتاريخية خاصة اِرتبطت بمرحلة معينة من تاريخ المجتمع الجزائري إلى جانب خضوع الواقع الثقافي للواقع السياسي وتطوره في ظروف مأساوية أدت إلى تناقضات إجتماعية وفكرية أفرزت بدورها أدوات تعبيرية أجنبية[2].

ونجد مراد سيوربون يحرم الأدب الجزائري منة ذاتيه وكيانه ، وجعل منه مجرد تابع للأدب الفرنسي بقوله:" فالكتّاب الجزائريون في نظري لم يقدموا أدباً له طابع المستعمر رغم اِستخدامهم لغة المستعمر ولكنّهم فرضوا أدباً حراً ومتحرراً ، أدباً ذاتياً لم يكن تابعاً للأدب الفرنسي كما أنّه لم يكن الإنتماء الأجنبي له " [3] .

وهذا أيضًا ما ذهب محمد ديب في قوله :" أعتقد أنّه إذا كان هناك أدباً لا يمكن أن نلحق به أ نضم إليه الأدب الفرنسي " [4] ، ويقول أيضًا عن ثلاثيته :" بل قولوا أدباً قومياً يظهر الآن في المغرب عامة والجزائر خاصة ، غير أنّ الأمر له دلالة بليغة هو أنّ الأدب يكتب باللغة الفرنسية في

[1] الأخضر الزاوي بن قاسم ، المدنية الجزائرية في الرواية الغربية بعد الاستقلال ، رسالة ماجستير ، دط ، ص 311.
[2] أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 ، ص 175.
[3] تطور الأدب القصصي الجزائري ، 1925- 1967 ، عايدة الأديب بامية ، تر: محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982م ، ص 50.
[4] المرجع نفسه ، ص 50.

بلاد ذات تراث إسلامي ، ولا تزال تحاول ولو في كثير من العناء أن تقدم إنتاجاً أدبياً باللغة العربية" [1] .

أسباب الكتابة بلغة الآخر :

فلم تكد تنتهي الحرب العالمية الأولى حتى بدأت بوادر الحركة الأدبية الجزائرية الجديدة تظهر إلى الوجود ؛ حيث نشأ جيل من الكتّاب لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع التعبير عن أفكاره ومشاعره إلاّ باللغة الفرنسية [2] .

وإذا أردنا الحديث عن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية فإننا نجد غموض وإلتباس كبيرين ، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن جنسية الأدب الجزائري المكتوب لغة الآخر ، وللإجابة عن هذا الإشكال " وجب علينا الإشارة إلى الأسباب التي أدّت إلى الإزدواجية اللغوية في الجزائر ، والتي تمثلت في عدّة عوامل منها تاريخية وثقافية وإجتماعية ، فقد خلفتها بالدرجة الأولى المرحلة الاستعمارية التي حاولت طمس الشخصية الوطني عن طريق محاربة اللغة العربية " [3] ، وكل هاته الأسباب أدت إلى تنمية اللغة الفرنسيّة مما خلق جيلاً جديداً من الكتّاب الجزائريين الذين يكتبون بلسان أجنبي ، وهذا ما فرضته عليهم سيادة اللغة الفرنسية .

خضوع الواقع الثقافي للواقع السياسي بسبب " تأخر الثقافة العربية في الجزائر ، وهذا ما أوجد شللاً في اللغة العربية وخلق صعوبة في الحصول على أسلوب لغوي روائي في الأدب

[1] الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وقورة التحرير صراع اللغة والهوية ، نوال بن صالح ، مجلة المخبر ، العدد07، 2011، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص220 .

[2] بنعمان أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ش و ن ت ، الطبعة 01، 1981، ص 09.

[3] جندي أنور ، الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 ، ص 22.

الجزائري بصفة عامة والقصصي بصفة خاصة ، فكان من البديهي أن يلجأ الكتّاب الجزائريون إلى اِستخدام الأداة الجزائرية لملأ الفراغ فساهموا بطريقة غير مباشرة في تطور الفن الروائي نسبيًا " [1].

فمن أبرز الأسباب التي أدت إلى الكتابة بلغة الآخر هي الأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية ، والتي تفسر لجوء بعض الكتاب الجزائريين إلى اللغة الفرنسيّة بسبب الأوضاع التي حتّمت عليهم ذلك " فلا يمكن وضعهم في قفص الإتهام ، أو أن يعتبروا مذنبين لأنهم أسهبوا إلى حد كبير في إثارة قضية بلادهم ، وتنبيه الرأي العام الفرنسي والرأي العام العالمي حول هذه القضية ، فلو أنّهم بقوا ساكتين لّما غفرت خطاياهم " [2] .

وعلّل أيضًا مولود معمري سبب لجوءه إلى الكتابة باللغة الفرنسية في قوله :" كنت مضطراً للتعبير عن أفكاري بأسلوب غير مباشر ، واللجوء إلى الغموض أحيانًا وهذا أخطر وأعظم – إلى إختيار مواقف ما كنت اِختزتها في قطاع سياسي مختلف " [3].

فالأدباء الجزائريون فعلاً عايشوا تجربة مريرة مع الكتابة ، ومنهم من شبّه اللغة العربية " بزوجة أب خشنة وفضلة على حد تعبير آسيا جبار " [4] .

فالكتّاب الجزائريون اِستعملوا اللغة الفرنسية كسلاح لمحاربة المستعمر ، فهؤلاء الكتّاب تشبعوا بالوعي الوطني والسياسي و لم يتخلوا عن أصالتهم ، وجزائريين كتاباتهم كانت مستوحاة من واقع شعبهم طامع للحرية ، ومن أبرزهم مالك حداد الروائي الذي ركّز على تصوير الغربة والواقع بين ثقافتين داخل وعاء الرواية ، فروايته وكتاباته تعد رمزاً للإلتزام الشديد بقضية الشعب

---

[1] عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية ، القصة القصيرة ، الجزائر ، م و ك ، ط01، 1983 ، ص 249، 273.

[2] الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ، وثورة التحرير ، الصراع اللغوي ، نوال بن مالح ، مجلة المخبر ، العدد 07 ، 2011، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 220.

[3] تطور الأدب القصصي الجزائري ، 1925-1967 ، غاية أديب باميا ، تر : محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982 ، ص 55.

[4] رشيد بوجزرة ، إنتاجيات النص ، محمد داوود ، ص 25.

الجزائري ، فهو كان من أقوى خدّام الثورة الجزائرية ، وهذا ما جعلنا نختار رواية " سأهبك غزالة " كنموذج للتعبير عن قضية من قضايا الشعب الجزائري في قالب روائي .

المبحث الثالث: الهوية في الأدب الجزائري المكتوب بلغة الآخر من خلال رواية " سأهبك غزالة " لمالك حداد نموذجاً

يعتبر مالك حداد نموذج للكاتب الجزائري الذي يعيش حالة إغتراب لغوي ، فقد ظلّ يحمل مأساته المزدوجة " الإستعمار – اللغة " ، وهذا المسار الذي سارت فيه كل أعماله برغم ما تلقاه هذا الأديب من اِنتقادات واِتهامات إلاّ أنّه ظلّ يعبّر عن همومه الوطنية والقومية والإنسانية برؤية جديدة .

مالك حداد " 1927- 1978" شاعر وكاتب وروائي جزائري ولد في 05 يوليو 1927 ، وتوفي في 02 يوليو 1978 ، ولد بقسنطينة ، وتعلم فيها ، ثم سافر إلى فرنسا نال الإجازة في الحقوق ، ولّما عاد أصدر مجلة التقدم وشارك في الثورة الجزائرية، تميّز إنتاجه بنفحة فلسفية له : المأساة في خطر ، والإحساس الأخير ، ديوان أنصتي ، وأنا أنديك كلها باللغة الفرنسية ومن بين أعماله :

1- **Je t'offrirai une gazelle (nouvel Julian) 1959.re .édition 10/18** .

2- **Le quai aux fleurs ne répond plus(nouvel Julliard) 1961.re . édition 10/18.**

3-**Les zéros tournent en rond essaye .Maspero 1961.**.

وشهد مالك مأساة 08 ماي 1945 ، إذ يقول : لقد ولدت في صباح 08 ماي 1945 ، ومنذ ذلك الوقت أختار طريقة الثورة بالقلم ، ومنها راح يؤلف ويكتب في القضايا الوطنية ، ثم نفي إلى أوروباً إلاّ أنّه لم يتخلى عن هدفه وكرّس حياته للكتابة عن الثورة .

ذاع صيت الفن الجزائري الناطق باللغة الفرنسة فقد وجد الأدباء الجزائريين أنّ هذا الفن يفي بالغرض في التعبير عن قضيتهم وحياة مجتمعهم المستعمَر ، فهو يساير الواقع وهذا ما جعله يرتقي إلى مستوى الآداب العالمية .

قد ظهر هذا التميّز جلياً في العديد من الروايات المعبّرة عن المرحلة التي ظهر فيها هذا الأدب لأنّه يكتنف في ثناياه موضوع الهويّة ولتعبير أكثر عن هذا الأدب وإستخراج خصائصه ومميزاته في الرواية العربية إخترنا رواية " سأهبك غزالة " لمالك حداد التي تجمع بين العالم الفرنسي المادي والعالم الجزائري الرومنسي .

وهذا ما طرح التضارب بين الهويتين الفرنسية والفرانكوفونية ، والهوية الجزائرية العربية ، فمالك حداد صوّر لنا من خلال روايته صور واقعية عن أفراد شعبه الجزائري والتجربة التي عانوها أثناء الاستعمار ، فنجد في رواية " سأهبك غزالة " قمة حب بين سائق شاحنة وفتاة تعيش في صحراء فبدلالتها وإنطباعتها وحول مدى وقوع إلتباسات الهوية بعين التشكيك في هويّة جزائرية عربية ، وهذه الرواية كتبت بالفرنسية ونشرت في دور النشر بفرنسا ، وتقوم هذه الرواية على نمط السرد ففي البداية يقوم المؤلف " مولاي الراوي " بصيحة ضمير الغائب ، ثم تتدخل شخصية مولاي في عالم السرد ، ثم سرعان ما يختفي ليعود الراوي من جديد ، وهنا تظهر لنا روايتين إحداهما غائب والآخر حاضر ، ولكن شخصية الراوي الخارجي هي المسيطرة على القصة ، وفي هذا المقام يقوم الراوي بشرح والتبرير والإثبات " كان ذلك منذ 200 سنة تقريباً ، وكان ذلك الشعر زاخراً بالأغاني ، وكانت أبياته تعبّق بأريج حبق الغني ، أنشدها نوارة لم توجد قط ، أنشدها في القرية الدافئة المشرقة على الوادي الأزرق ، ولعلّ القرية إنقرضت وإندثر أثرها " [1] .

[1] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، تعريب صالح فرمدي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، مقدمة ، ص 73

فقد عرض مالك حداد في روايته حياتين ، حياة عاشها في فرنسا ، وحياة متخيلة ، فالمخطوط يحكي قصة حب خيالية وقعت أحداثها في الجزائر ، فالرواية هنا أخذت مسارين ، مسار مخطوط ومسار الأحداث ، " وبطل هذه الرواية يعاني من إشكالية التعاطي مع هويته الجزائرية ، إذ أنّه يعيش في باريس نتيجة الاحتلال الفرنسي للجزائر ، وإسم البطل في هذه الرواية مهمّش ، فهو يشار إليه بالمؤلف ، كما أنّ الراوي فيما يقدّم بصيغة الغائب ، و لم يكن إسم المؤلف مذكوراً بالمخطوط [1] .

ملامح الهويّة في الرواية : تعبّر الهوية عن عدّة دلالات كما نستخرجها من عدّة ملامح بيئية ، ثقافية ، إنسانية ، تاريخية ، وهذا ما حاول مالك حداد من خلاله أن يبيّن لنا ملامح الهوية العربية ويحافظ عليها .

الملامح البيئية : وقد أخذت هذه الملامح مركزاً أساسيًا لا يمكن التخلي عنه ، أو تجاوزه ، فقد جعل الصحراء عالماً للرواية والجبال شاهداً فيها ، والغزالة كانت رمزاً لها .

فقد جاء مالك حداد بالعديد من الأماكن في روايته من أجل التعريف بالهوية العربية وذلك ملامحها " الصحراء ترمز إلى التاريخ ، والحضارة ، كما تعد معلم من معالم العروبة ، فهي تتفرد بفضائها الرملي عن باقي الفضاءات ، وهذا ما يجعلها ميزة يختّص بها العالم العربي دون غيره ، فقد اِحتلت مكانة ريادية لما ينطوي تحتها من معالم ورموز ، فبقدر ما هي غريبة فهي مدهشة في الوقت نفسه ، وهذا ما يخلق التميّز ، وهذا ما جعل الرّحالة الفرنسيين يندهشون من مميزات الصحراء الجزائرية ، وهذا ما ظهر جلياً في قول ريني بونتي " إنّ الصحراء كما يطلق عليها بالإقليم الجنوبي لفظ يطلق على منطقة شاسعة جداً وهي جغرافيا المنطقة المتصحرة بسب تحرك الكرة

[1] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، ص 17.

الأرضية ولها حدودها الأطلنطي في الغرب والأطلسي والبحر المتوسط في الشمال ، والبحر الأحمر في الشرق " [1].

فقد صوّر لنا مالك حداد الصحراء بصورة غير عادية تبيّن دلالات عدّة كما أعطاها صفة الحب وتبادل المشاعر بين الحبيبان يمينة ومولاي ، فمولاي كان عاشقاً ليمينة ، فقد كان مكان لقاءهما الصحراء .

يمينة إمرأة عريقة ذات جذور رومانية بحتة تسكن الجبال مولاي مثال للرجل الذي كان ذو هيبة ومكانة مرموقة .

الصحراء مكان لقائهما الذي كان يضم معالم متنوعة : الواحة – الشاحنة – الريح – البرج العسكري .

كما سبق وذكرنا أنّ الحبيبان إختارا مكان للقائهما للتعبير عن حبهما ومشاعرهما ، وقد كان تُولَوُمْن ذلك المكان الذي ضمهما ، والذي كان بمثابة حارس عليهما وعلى حبهما وسايمن الكولومن مكان القبولات [2] .

فقد كان الكولومن مقبرة ومكان للعشق في آن واحد ، فهو يحمل بهذا التناقض ، يعبّر عن ناس أحياء يعشقون وأناس أموات لا حياة هم .

الجبال : حضيت الجبال ايضًا بإعجاب ودهشة الزوار والرحالة لأشكالها وتضاريسها المدهشة ، ولهذا كانت الجبال العربية محل دراسة لدى المستشرقين ، وقد قام مالك حداد في روايته هذه بذكر العديد من السلاسل الجبلية الجزائرية مثل : جبال الطاسلي ، وجبل كوكومن ،

[1] علجية مرحوم ، القضية الجزائري في الرواية الناطق باللغة الفرنسية ، دراسة مقارنة ، 1935- 1962 ، رسالة ماجستير ، دمشق ، ص 215.

[2] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، ص32

وجبل صخري ، وجب الأكاموس وغيرها ، فقد خصّت هذه السلاسل الجبلية بأشكال مدهشة وعظيمة ، فهي تبعث في النفس شعور العظمة والقوّة والتحدي ، كما شهدت هذه الجبال بدايات الاستعمار ، فهي كانت نقطة تفجير الثورة الجزائرية ضدّ العدو ، فبهذا تدل هذه الجبال على شموخ أهلها وتصديهم ورفضهم للاستعمار ، فقد أشار مالك حداد بالطابع الجبلي إلى الهوية العربية الجزائرية وملامحها ، كما تشبّحت رواية مالك حداد بأسماء الماكن والمدن الجزائرية المعروفة وذكر العديد منها " ورقلة – مولاي ابن مدينة ورقلة "[1] .

تمنراست – إنّها راندار وغاو – وغدامس – وطرابلس – غرب تمنراست ، والجزائر العاصمة " .

فذكر هذه الأماكن في الرواية بالحد ذاته يدّل على الهوية الجزائرية ، فهي ملامح الهوية العربية الجزائرية ، فالاستعمار يحاول تغيير أسماء الشوارع والقرى وجعلها أسماء فرنسية من أجل القضاء على الهوية العربية ومحو ملامحها ، فالتسمية عنصر هام في الهوية والدلالة عليها ، كما لم تخلو الرواية من العنصر الحيواني فهو أيضًا ملمح من ملامح الهوية العربية ، وهذا ما ظهر في العنوان سأهبك غزالة .

فقد كانت العلاقة واضحة بين العنوان والرواية فقد ركز ملك حداد على الغزال تركيز واضح فهو لم يخص إهتمامه بالصحراء فقط ؛ بل أعطى لبهائمها بعداً هاماً ، فالغزال حيوان يدل على الجمال والمظهر الساحر ، وهذا ما جعلها موضوعاً للفنانين الاستشراقيين ، وهذا لدلالتها العديدة مثل الحرية ، الطلاقة ، الجمال ، فالغزالة بجمالها وسحرها تعد عالماً ومثال للعشق ، فغزالة المخطوط هنا هما غزالتان متخيلتان لأنّ المخطوط حكاية متخيّلة " وغزالاتا المخطوط إحداهما

[1] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، ص 50

تموت والأخر تفلت وبهذا يفشل مولاي في الإمساك بهما ، أمّا الغزال الثالث تعدّ حلماً مستحيلاً فليقل القائلون ما يشاؤون ، فكلتاهما كانتا غزالة حقيقية لم تكن بحقيقة " [1].

فالغزالة هنا هي إحدى ملامح الصحراء المتخيّلة لدى الفرنسيين ، أمّا الغزالة التي يرونها ما هي إلاّ كائن محنط ومحشو بالتبن .

وقد تبيّن أنّ الفرنسيين شعب لا يميّز بين الرخيس والغالي والأصيل والمزيف ، وهذا ظهر في الغزالة التي أعطاها المؤلف لنادل الحانة ثم أهداها إلى جيزبيل ، وهذا يعتبر رد فعل طبيعي ، فالغزال الحقيقي كائن غريب عنهم لذلك فهم لا يعرفون قيمته .....

وإذا أسقطنا صور تعامل الفرنسيين وتعاطيهم مع الغزال على الواقع فإننا نجدها مماثلة لصورة الاستعمار مع الجزائر ، فالفرنسيين إستحوذوا على بلاد لا يعرفون قيمتها وجوهرها الحقيقي ، لأنهم في الحقيقة يعد هذا الاستيلاء إستيلاء خيالي ، وهذا ما حدث مع الغزالة والفرنسيين ، فقد ظنوا أنهم أمسكوا به إلاّ أنّ الحقيقة أنهم يتعاملون مع صورة متخيّلة في أذهانهم .

وبهذا عدّت الغزالة ملمح من ملامح البيئة للهوية .

الملامح الشخصية : فقد إستعمل الكاتب العديد من أسماء الأعلام العربية للدلالة على الهوية نجد مولاي الذي تعدد ذكره في الرواية باعتباره بطلها ، قد كان لهذه الرواية عينان ، كان مولاي عاشقاً ليمينة " [2].

وكانت يمينة هي البطلة عاشقة مولاي ولدينا أيضًا علي ، " وأخيراً وحوالي منتصف الظهيرة إكتشف نظر علي مولاي غزالتان " [3] .

[1] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، ص77.

[2] المصدر نفسه ، ص 31

[3] المصدر نفسه ، ص66

بالإضافة إلى أسماء جزائرية أخرى مثل بن بلة ، ووريدة هذه الأسماء لم تأتي من عبث ؛ بل جاءت للدلالة على الهوية العربية فه خاصة بالعالم العربي دون غيره ، ومالك حداد في روايته عبّر عن هويته الجزائرية ، ودافع عنها وكان ذلك من خلال تشجيع الاحتلال الفرنسي بطريقة ثقافية فكرية للحفاظ عل حياته في المنفى ، فقد قام بذلك إكراماً لأنّه مجبر ، ولهذا وظّف أسماء أعلام فرنسيين ، موريس جنرال سارتر ، الذي هو كاتب فرنسي وجول فرنسيس مغني فرنسي وغيرها من الأسماء، فهو بهذا مسّ طبقات المجتمع الفرنسي ، الطبقة العادية – المثقفة ، والعسكرية وغيرها.

فهو بيّن ملامح الهوية ودافع عنها وفي نفس الوقت شرع الاحتلال وإجباره على ذلك .

ويختم على غرد إيجاد طريقة أخرى للتواصل ، وقد كانت **الهرمونيكا :** هي تلك الطريقة ، وهذا بسبب فشل اللغة في التواصل ، فالمؤلف في هذه الرواية يحس بأنّه وحيد لم يجد من يسمعه " وبالي من خطاب من دون مستمع " [1] ، لأنّه اِستعمل لغة غريبة عن المتلقي ولذلك غردا لم تفهم ما تسمعه ، وهذا ما يسمى بالالتباس اللغوي لترفرف راية مالك حداد في إلتباس لغوي ظاهر لأنّ من يقرأها يجد نفسه واقع في إلتباس الحكم في هذه الرواية أهي عربية أن فرنسية ؟

فإذا أردنا الحكم على هذه الرواية من جانب موضوعي فإننا نصفها في الرواية العربية لأنّها تتناول موضوع المجتمع العربي الجزائري ، وإذا حكمنا عليها من جانب اللغة فإننا نجد إشكالاً في تصنيفها ، فكل هذا الإشكال والإلتباس القائم في هاته الرواية شبيهة باللغة التي كتبت بها ، فهي هنا ألغت أهم مقوّمات الهوية التي هي اللغة العربية ، فكتابة المؤلف لغير لغته يؤثر في درجة التبليغ والفهم لدى القارئ والمتلقي ، وهذا ما كانت فرنسا تسمو إليه لمحو الشخصية الجزائرية ومقوماتها .

[1] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، ص 69.

فاللغة تعد العنصر الثاني الذي قاومته فرنسا لتحطيم الشخصية الجزائرية وطمس معالمها " فهي أهم عناصر الثقافة المعنوية وأقوى مكوناتها ، وأبرز صورها ، فهي الوعاء الذي تحفظ فيه الثقافة وتنقل بواسطته عبر الأجيال " [1] .

الإلتباس الثقافي : هذا النوع من الإلتباس يدخل ضمن الثقافة الاجتماعية للمجتمع الجزائري فهي تقوم على عادات وتقاليد وأغراض خاصة تشكل حدود لا يمكن تجاوزها ، وإذا نظرنا في الرواية فإننا نجد بطلان من بيئة جزائرية عربية لا تقبل الطعن في عاداتها وتقاليدها ، وبهذا يعدّ فعلهما مناهضاً لهذا العرف كتبادل القبل بين رجل وإمرأة يعدّ أمراً دخيلاً وبعيداً عن واقعنا الثقافي ، فالمجتمع الجزائري يختلف عن المجتمع الأوروبي ، ولذلك تصنف هذه العادة من عادات المجتمع الأوروبي ، والحديث عنها يعدّ تعديّا على مجتمع عربي جزائري وثقافية ، فهذا يعدّ غريباً على مجتمع عربي مسلم ، وهذا ما جعل الرواية محطّ شبهة لأنّ ثقافة التقبيل من عادات وتقاليد مجتمع الغرب .

فلو تقيّدنا بثقافة مجتمعنا وقوانينها لما وجبّ على يمينة ومولاي التلاقي والانفراد لأنّه يعدّ مساساً لثقافتنا الاجتماعية ، وهذا ما تطح إليه فرنسا فهي منذ بدايات اِحتلالها للجزائر وضعت سلطتها على مساجد الأئمة ، كما فرضت العقاب على من يطالب بحرية الدين الإسلامي .

إلاّ أنّ مجتمعنا الجزائري بقي مخلصاً لدينه بكل ما يملك من معتقدات ، ولهذا تبقى العقيدة الاسلامية ثابتة عبر الزمان والمكان ، إلاّ أنّ بعض الكتاب تجاهلوا هذه الثقافة الدينية وراحوا يتبعون الثقافة الأجنبية التي هي بعيدة كل البعد عن ثقافتنا .

الإلتباس الديني :

[1] أحمد بن نعمان ، الهوية الوطنية حقائق ومواطنات ، شركة دار أمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر .

يعد العنصر الديني من الأعمدة الأساسية التي تقيم الكيان والهوية ، فقد تختلف الثقافات العربية والمجتمعات في السياسة والثقافة والفن وغيرها إلاّ أنّها تشترك في أساس واحد لا يتغير وهو الدين ، فهو يتميّز بالثبوت والعظمة .

اِحتل الدين مكانة أساسية في بناء الهويّة الوطنية العربية وميّزها عن غيرها من المجتمعات ، وهذا ما جعله العنصر الثالث المستهدف من طرف فرنسا التي عملت على محوّه ومحاربته للقضاء على الأمة والتنكر لوجودها ، وهذا ما ظهر جلياً في هذه الرواية التي ظهر فيها ملامح الإلتباس الديني ، وهذا ما ظهر في قوله : " لن أنسى أبداً يمينة التي لم تكن تعرف كيف تقبل مولاي ، ولن أنسى مولاي الذي علمها القبولات في جو طعمه مر ، متاخم للندم " [1].

وهذا ما خلق جدالاً كبيراً لدى الجمهور الجزائري وجعل الكاتب موضع إتهام فهذا بحد ذاته خروج عن الثقافة الدينية العربية الإسلامية كون مولاي ويمينة جزائريان مسلمان ، وهذا ما يجعل ثقافة القبلة ثقافة غريبة بعيدة عن ديننا الإسلامي .

فالمؤلف بتوظيفه وتصويره لهذه الحادثة يضع القارئ أمام إلتباس ديني واضح ، وهذا ما يجعل المتلقي حائر في تحديد هوية هذان البطلان ، هل هما مسلمان أم غربيان ؟ .

كما وظّف ألفاظاً أخرى تدل علاى ثقافة الآخر ، مثل شرب الخمر ، وظهر هذا في قوله " وضحك المؤلف ثم طلب كأسه المعهودة من الروزي ، وهذا ما يظهر بأنّ المؤلف معتاد على شرب الخمر ، وهي ظاهرة نهى عنها وحرمها الدّين الإسلامي .

لقد إخترنا رواية " سأهبك غزالة " لمالك كنموذجاً لإبراز الإلتباس الواقع في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسيّة ، وتعتبر هذه الأخيرة خير مثالاً على تجسيدها في الهويّة التي تعدّ الجنس الوحيد الذي لديه الطاقة الكاملة للتعبير عن مكامن الأمة ، ومالك حداد من خلال روايته

[1] مالك حداد ، سأهبك غزالة ، ص 31.

أراد الكشف عن حقيقة لا يمكن محوّها أو إهمالها ، فرمز الغزالة في روايته جاء لدلالات عدّة عربية جزائرية خالصة .

خاتمة

تبدو قضية الهوية واضحة وغامضة في الوقت نفسه ، ويبقى السؤال الأساسي الذي يشغل بال المفكر الجزائري العربي كونها القلب النابض بالثقافة والإبداع ، فمشكلة الهوية تبقى مصاحبة للأديب الجزائري الذي تخلله نوع من اللّبس والشبهة مثله مثل كل أديب كتب بغير لغته الأصلية .

– فالهوية لا يمكن أن تحصر ضمن قالب اللغة لأنّها وليدة لتجاوز كل مقومات الآخر " الدين الإسلامي ، التاريخ ....." .

– فنحن بعملنا هذا لا نطمح إلى تبرير موقف بقدر ما نحاول إثبات حقيقة هذا الأدب ، ومدى إلتصاقه بالواقع الجزائري ، فهو لا يعتمد على عنصر اللغة فحسب ، فهو ليس مجرد عاطفة نكنها ونقدّس علاقتها بالموضوع وتعتبرها كافية لتحديد فعل الإنتماء الوطني .

– فبعض الدارسين رأوا أنّ هذا الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية " هو أدب عربي مترجم إلى اللغة الفرنسية " .

– وهناك من يعدّه جزائرياً مع الحرص على تميّزه دائماً بحيازة المكتوب باللغة الفرنسية .

– ولعلّ أقرب التأويلات التي تتبادر إلى الذهن أنّهم في وصفهم لهذا الأدب الجزائري تأكيداً منهم بطريقة ضمنية على عدم اِعتباره أدباً فرنسي ، ويفهم بأنّه تمييز له على الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية ، فهذا الأدب جاء وليد للظروف التي شهدتها الجزائر إبّان المرحلة الإستعمارية التي فرضت عليه التمييز عن وطنه وهويته بلغة يفهمها الآخر ، فهو بهذا يحاربه بلغته ، وقد شاع هذا الأدب في الأوساط الأدبية الغربية ، واِحتل مكانة بينها ، فالأديب الجزائري العربي يبقى محافظاً على هويته في شتى الظروف برغم مما فرضته السياسة الإستعمارية عليه إلاّ أنّه يبقى متمسكاً بهويته وعروبته وثقافته التي حاولت الثقافة الإستعمارية صهرها وإذابتها .

قائمة المصادر والمراجع

الكريم برواية حفص

المصادر :

1. ابن حزم ، الأحكام في أصول الأحكام ، ج 1 ، القاهرة ، دار الفكر ، 1978.
2. ابن خلدون ، المقدمة ، ج 1 ، ط 4، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 1978.
3. ابن منظور ، لسان العرب ، ج01، باب حرف الثاء .
4. السيد شريف الجرجاني ، التعريفات ، تونس 1971 .

المراجع :

5. ابراهيم أبو عرقوب ، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط01
6. ابراهيم عزي ، ترجمة القرآن الكريم بين الدعوة والمثاقفة ضمن الترجمة وإشكالات المثاقفة ، قطر ، منتدى العلاقات العربية والجدلية ، ط 01، 2016 م .
7. أبو العباس القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا " الجزء الخامس" الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1964.
8. أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984م .
9. أحمد بن نعمان ، الهوية الوطنية حقائق ومواطنات ، شركة دار أمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر .
10. أحمد درويش ، إنقاذ اللغة ، إنقاذ الهويّة ، تطوير اللغة العربية ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى يناير ، 2006م .
11. أحمد صدقي الدجاني ، في الغرب والعولمة ، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية ، ط03، بيروت ، أفريل 2002 .

12. أحمد منور ، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 م .
13. إدوارد سعيد ، الاستشراق ، 1978
14. إسماعيل حاجم ، الصراع الحضاري في رواية الفرنكوفونية المغاربية ، دار الأمل للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2007 م .
15. السيوطي جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة ، تح: فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية ، بيروت .
16. بسام بركة ، فايز الصباغ وآخرون ، اللغة والهوية في الوطن العربي ، إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح .
17. بشير إمام زكرياء ، في مواجهة العولمة ، ج01، عمان ، الأردن ، 2000
18. بنعمان أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق ش و ن ت ، الطبعة 01، 1981م .
19. بيل إشكروفت وجاريت غريفيثوهيلين تيفيت ، دراسات ما بعد الكولونيالية " المفاهيم الرئيسية ، تر : أحمد الروبي وأيمن حلمي ، وعاطف عثمان ، تح : كريمة سامي ، المركز القومي للتربية ، القاهرة ، ط01، 2016 .
20. بيل إشكروفت وغاريت غريفيث وهيلين تيفيت ، مفاهيم أساسية في دراسات ما بعد الاستعمارية ، 1998 .
21. تيري إغلتون ، الثقافة في طبعاتها المختلفة ، ترجمة ثائر الأديب ، مجلة الكرمل ، العدد 02، بيروت 2000 .
22. جابر عصفور، التنوع البشري الخلاق، المجلس الأعلى، القاهرة 1997.
23. جندي أنور ، الثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 .
24. جون ليونز ، اللغة و علم اللغة من تأليف ، الناشر دار النهضة العربية ، ط1.

25. حسان ابن ثابت ، ديوان ، قافية الألف ، طبعة أنجب ، الجزء الأول ، كلكتا 1931 .

26. حسن حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، ط01، الدار الفنية ، القاهرة ، 1991 .

27. د . ناظم عبد الواحد جسور ، موسوعة علم السياسة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع .

28. د .وني كوتش ، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : د قاسم المقداد ، دار الكتاب العرب ، 2002م .

29. د. نبيل علي ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسة عالم المعرفة ، العدد 03، الكويت ، 1985

30. د.جمال نجيب التلاوي ، ترجمة د.ماهر مهدي ، حنان الشريف ، المثاقفة عبر الصور والبيوت ، دراسة عبر حضارية ، دار الهدى للنشر ، ط01، 2005م .

31. د.محمد زرمان ، الترجمة وفعل المثاقفة ، جامعة باتنة ، الجزائر .

32. ديوان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف 1119 ، كورنيش النيل ، القاهرة ، ج م ع .

33. رشاد عبد الله الشامي ، إشكالية الهوية في إسرائيل ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم 224 .

34. سمير شريف أستستية اللسانيات المجال الوظيفي و المنهج ، الأردن ، عالم كتب الحديث 2005.

35. صفاء خلوصي ، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1982 ، ص 14 ، سلسلة دراسات 292.

36. صومي بابا ، حياة جامدة ، 2001م .

37. عاطف وضعي ، الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، دار النهضة للنشر ، 0 ط01 .

38. عايدة الأديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري ، 1925- 1967 ، ، تر: محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982م .

39. عبد الرحمان خليفة وفضل الله محمد اسماعيل ، الإيديولوجيات والحضارة والعولمة ، الحدائق ، مكتبة بستان المعرفة ، ط01، 2001 .
40. عبد الله الركيبي ، القصة الجزائرية ، القصة القصيرة ، الجزائر ، م و ك ، ط01، 1983 .
41. عبد الله العلايلي ، مختار الصحاح في اللغة والعلوم ، ط4، دار الحضارة ، بيروت ، 1974 .
42. عبد الله حسن ، 2014/06/11، من وظائف اللغة.
43. عبد المالك مرتاض ، نهضة الأدب العربي المعاصر ، الجزائر ، 1925 – 1945 م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .
44. عصمت سيف الدولة ، عن العروبة والإسلام ، دار البراق ، الطبعة الثالثة .
45. غيارتي سبيفاك ، ناقد ما بعد الاستعمارية ، 1990.
46. فريال جبوري غزول ، ما بعد الكولونيالية وما وراء المسميات ، قضايا فكرية ، العدد 19-20، القاهرة 1999 .
47. قباري قطب ، محمد إسماعيل ، علم الإنسان ، منشأة المعارف الإسكندرية ، دار بوسعيد للطباعة ، 1982 .
48. لويس م.م 2003 اللغة في المجتمع .تر. حسان تمام . منشورات عالم الكتب ، القاهرة .
49. لويس مبرو ، مقدمة في الأنثروبولوجيات الاجتماعية ، ترجمة : شاكر مصطفى سليم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1983
50. لويس معلوف ، المنجز في اللغة ، انتشارات فرحات ، ط35 ، طهران.
51. ما يكل كلين التعدد اللغوي ضمن كتاب دليل السوسيو لسانيات تحرير فلوريان كولماس، ترجمة : خالد أشهب ومجلودين النهيبي ، مراجعة : ميشال زكرياء ، مركز دراسات الوحدة العربية .
52. مالك حداد ، سأهبك غزالة ، تعريب صالح فرمدي ، الدار التونسية للنشر ، 1968 ، مقدمة .

53. محمد ابن عبد الكريم الجزائري ، الثقافة ومآسي رجالها ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1978.
54. محمد سالم الهوية و العولمة ، ، دار الغرب للنشر والتوزيع .
55. محمد سليمان ، أمثلة الهويّات والمثاقفة في عصر العولمة ، معهد ابراهيم للدراسات الاعلامية والثقافية ، رام الله ، فلسطين ، ط01، 2008م .
56. محمد صابر عبيد ، جماليات التشكيل الروائي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط01، 2012.
57. محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط01، 1997 .
58. محمد عابد الجابري ، مسألة الهوية والعروبة والإسلام والغرب ، مركز دراسات ، بيروت ، لبنان ، ط03، 2006م .
59. محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر ، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن .
60. محمد عمارة ، الإسلام والعروبة والعلمانية ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1981م .
61. محمود الرسيخي ، واقع الثقافة ومستقبلها في أقطار الخليج العربي ضمن الثقافة والمثقف في الوطن العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1، 1992م .
62. منير بعلبكي ، قاموس المورد ، إنجليزي ، عربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1994 .
63. هيرسكوفيتش ملفيل ، أسر الأنثروبولوجيات الثقافية ، ترجمة رباح النقاخ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1974 .
64. واسيني الأعرج ، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ط01، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 م .

65. واسيني الأعرج ، كتاب الأمير سالك أبواب الحديد ، دار الآداب للنشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط02، 2008 م .

66. المجلاّت :

67. أحلام الجيلالي ، أثر العولمة في اللساني الرسمي " العربية نموذجاً " مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية .

68. الهوية العربية الإسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري ، سلسة المنشورات ، 1997م ، مطبوعات أكاديمية ، ط02، بيروت ، لبنان.

69. بو زرورة سارة ، مجلة البدر .

70. حسان بركة ، اللغة العربية القيمة و الهوية ، ، مجلة العربي ، العدد 528 نوفمبر 2002 م .

71. د . رشيد برصون ، الترجمة ورهانات العولمة والمثاقفة ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، ع 01، المجلد 31، سبتمبر 2002 .

72. د. مسعود لبيوض ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 11، العدد 02، السنة 2019، العدد التسلسلي 19، العولمة وسؤال التثاقف ،.

73. سعاد بضياف ، مجلة الأثر : أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية ، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، أ د لبوخ بوجملي، جامعة باتنة، 2 الجزائر .

74. عبد السلام بن عبد العالي ، الترجمة والمثاقفة ، مجلة الوحدة ، المجلس القومي للمثاقفة ، الرباط ، المغرب ، العدد 62/61 ، أكتوبر ، نوفمبر ، 1989 .

75. عبد السلام بن عبد عالي ، الترجمة والمثاقفة ، مجلة الوحدة ، السنة 06، العدد 21-62-989 ، المجلس القومي للثقافة العربية.

76. عبد السلام عبد العالي ، الترجمة أداة للتحديث ، مجلة فكر ونقد ، عدد 8079 ، أفريل 2006 ، المغرب .

77. عبد الكريم ناصيف ، الترجمة : أهميتها ودورها في تطور الأجناس الأدبية ، مجلة الوحدة ع 61 /62، أكتوبر ، نوفمبر 1989 .

78. عبد الكريم ناصيف ، الترجمة أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية ، مجلة الوحدة ، العدد 62/61 ، أكتوبر ، نوفمبر 1989 .

79. عبد الله الحافظ مجدي ، مجلة الحوار الفكري ، العدد الأول ، جويلية ، 2001 م

80. عثمان حسن ، مجلة الخلي ، اللغة والثقافة ، تاريخ النشر : 2017/12/26،.

81. محمود اسماعيل عمار ، معايير متقدمة حول الترجمة في النقد القديم ، مجلة علامات في النقد ، جزء 48، مجلد 12، يونيو 2003 .

82. نوال بن صالح ، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية ، مجلة المخبر ، العدد07، 2011، جامعة محمد خيضر ، بسكرة .

83. الرسائل الجامعية :

84.أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللسانيات التطبيقية ، توظيف البعد التداولي للتواصل اللغوي ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان – كلية الأدب و اللغات.

85. الأخضر الزاوي بن قاسم ، المدنية الجزائرية في الرواية الغربية بعد الاستقلال ، رسالة ماجستير ، دط .

86. علجية مرحوم ، القضية الجزائري في الرواية الناطق باللغة الفرنسية ، دراسة مقارنة ، 1935- 1962 ، رسالة ماجستير ، دمشق .

87. مقدمة مكملة لنيل شهادة ماستر " جدلية الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير سالك أبواب الحديد ، للروائي واسيني الأعرج ، للمقراني في تلقي وتأويل .

المراجع باللغة الأجنبية :

1-dogtcheva. Milena (2005) le multruculturalisme .édiction la découverte- paris..

2- Acculturation in Roger Bastide . Enycho . universalis

3- Pierre Bonte et Michel IZAR dictionnaire de ethnologie et de anthropologie

4-O dépér de traduction . théorie et pratique la traduction littéraire.

5- E. Sapir .language : an introduction to the study of speech .New work .Harcourt .Brace .1921.

6-Aparajita Sagar postcolonial : Abictiarrary of cultural and critical theory ed Micha Payne oxford .Black well.1996.

7- John Theine (ed) . The Arnold Anthology of pas colonial fiteratues in English London
8- Anis loomba. Colonialism post comonialism . London . Routl dge 1998.
9- Jostte Bryson .Mohamed Dib . la grand moisson et sa réception dans la presse Douvres et critique revue international (la littérature Magrébine de la langue

10- Française durant la culture) éd jean Michel place 1997 .
11- Jean dejeux .situation de la littérature magrébine de la langue française.

المواقع الإلكترونية :

1- http // : faculty / KSU . edu . sa / Research /20 liberty

2-**www.yenenista .com / maqal 8 htm**

3-**WWW.chang.com**

4-**WWW.publictio .iua . edu.sot**

5-**WWW** الوراق**. nat**

فهرس المحتويات

كلمة شكر .....

إهداء .....

المقدمة .....أ

الفصل الأول : اللغة والهوية

المبحث الأول : – مفهوم اللغة (إصطلاحي) **02**

– (خصائصها و وظائفها) **08**

المبحث الثاني : مفهوم الهويّة "الإصطلاحي " **15**

– (مقوماتها ، أسسها ، انواعها ، المواطنة) **16**

المبحث الثالث : علاقة اللغة بالهوية..... **26**

الفصل الثاني : اللغة والمثاقفة

المبحث الأول : مفهوم الثقافة لغة واصصطلاحا 33

– مفهوم المثاقفة 34

المبحث الثاني : الترجمة مفهومها لغة واصطلاحاً 42

– علاقة الترجمة بالثقافة 45

– دور الترجمة في المثاقفة 47

المبحث الثالث : مفهوم العولمة لغة واصطلاحا 49

– الترجمة والعولمة 50

– الترجمة والفعل الثقافي في عصر العولمة 52

– العلاقة بين اللغة والثقافة 53

الفصل الثالث : الظاهرة الكولونيالية .

المبحث الأول : مفهوم الكولونيالية 57
مفهوم ما بعد الكولونيالية وما بعد الإستعمارية 59
المبحث الثاني: علاقة الأنا بالآخر 63
- الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية 65
- أسباب الكتابة بلغة االآخر (الفرنسية) 71
المبحث الثالث: رواية" سأهبك غزالة "لمالك حداد نموذجا 73
خاتمة 84
قائمة المصادر والمراجع 86
فهرس المحتويات..... 95

ملخص:

نستخلصص من مذكرتنا المعنونة باللغة وثلاثية الهوية والمثاقفة والكولونيالية الذي يرمز إلى العلاقة بين اللغة وهذه الثلاثية ، فاللغة تعبر عن هوية الفرد كونها ملمح من ملامح الهوية فهي عنوان الشخصية والهوية الإسلامية فهي تحيل إلى الفكر وهي أدة تواصل بين الأفراد فاللغة تستعمل للتعبير عن طرق الحياة المعيشية وتعكس ششخصية الإنسان ، كما تعمل للتعبير عن العادات والتقاليد باخختلاف الشعوب فهي بهذا تد أداة ربط بين ههذه الشعوب وهذا ما يفتح الباب للإحتكاك والتواصل فيما بيينهاا مننتجا تنوعا ثقافيا.

وهذا ما يظهر جليا في اللغات والآداب وفي مجالاتأخرى ومن مظاهره التتغريب فقد تفشت ظاهرة لإنحلال والبعد عن الهوية الأصلية بحثا عن التطور والتتحضر ببحجة متطلبات العصرر وقد أثرت هذه الظاهرة على مجالات عديدة أبرزها الأدب ، ظخورظاهرة جديدة في المجال الأدبي ألا وهي الظاهرة الكوللنيالية التي ألقت الغبارر على عروبة الأدب الجزائثري وضمه تحت جناح الأدب اللفرنسي ، فهذا ما جعله مجالا للشبهة حول انتمائه فقد أصصبح يكتب بلغة عدوه.